

تصنيف

العلامة المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي

(ت ٧٩٠ هـ)

تقديم

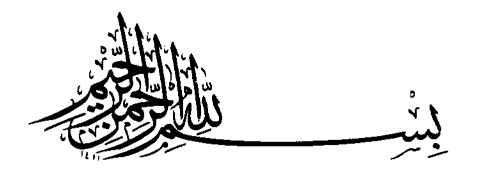
فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد

ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

المجلد السادس

دار ابن عفان



الطبعة الأولى

١٤١٧هـ/١٩٩٧م

دار ابن عفان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الخبر - العقربية
شارع أبو حدرية - تقاطع الشارع العاشر
ت : ٨٩٨٧٥٠٦ - فاكس : ٨٩٩٢٧٤٣
ص ب : ٢٠٧٤٥ - رمز بريدي : ٣١٩٥٢



التراجم

* التعريف بالمؤلف أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي.

* التعريف بالشراح والمعلقين والمحقق:

- ترجمة الشيخ عبد الله دراز.
- ترجمة الشيخ محمد عبد الله دراز.
- ترجمة الشيخ محمد حسنين مخلوف.
- ترجمة الشيخ محمد الخضر حسين.
- ترجمة الشيخ ماء العينين.
- ترجمة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ترجمة محقق الكتاب (مشهور بن حسن).

* * *

التعريف بالمؤلف
أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي

عصره: عاش الإمام أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي[1] في القرن الثامن

---

(١) ترجمته في:
- «الأعلام» للزركلي (١/ ٧١).
- «أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي» للشيخ محمد الفاضل بن عاشور (٧٠).
- «أعلام المغرب العربي» لعبد الوهاب بن منصور (١/ ١٣٢).
- «الإفادات والإنشادات» مقدمة الدكتور محمد أبو الأجفان (ص ١١ ـ ٥٣) (وهذه الترجمة مأخوذة منه).
- «إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ١٢٧).
- «برنامج المجاري» لأبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي (١١٦).
- «بروكلمان» ملحق (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).
- «الشاطبي ومقاصد الشريعة» الحمادى العبيدي (ص ١١ ـ ١١٦).
- «شجرة النور الزكيّة» للشيخ محمد مخلوف (٢٣١).
- «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» (٤/ ٢٩١ ـ ٢٩٢).
- «فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ١٩١) ط٢ بيروت.
- «المجددون في الإسلام» للصعيدي (٣٠٧).

بغرناطة، وهي عاصمة الدولة النصرية التي آل إليها حكم الأندلس في الربع الثاني من القرن السابع.

وكان ملوك بني نصر في صراع مع العدو الإسباني الذي تتفاقم أطماعه في الاستيلاء على المراكز الأندلسية، وقد تم له الاستيلاء على جيان وشاطبة وإشبيلية قبل أن يحل منتصف القرن السابع، ولم تفتأ محاولته تتكرر لإسقاط الحصون والمواقع والاستحواذ على المدن الإسلامية، ولم يكن يحترم ما يعقده من حين لآخر من معاهدات سلم مع أمراء بني الأحمر.

وكان الدعم يصل إلى هؤلاء الأمراء من العُدوة المغربية التي تسودها الدولة المرينية وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين المتنازعين، فمن الأمراء النصريين الذين حققوا بعض الانتصار في ساحة الجهاد؛ محمد الغني بالله بن يوسف أبي الحجاج ثامن الملوك النصريين (٧٥٥-٧٩٣)، فقد استعاد من يد أعدائه ثغر بطرنة سنة ٧٦٧هـ وهاجمهم بجيّان وببدة وبالجزير الخضراء التي اقتحمها بعد معركة طاحنة سنة ٧٧٠هـ ثم هاجم سنة ٧٧١ إشبيلية التي أصبحت قاعدة ملك

= - «معجم المؤلفين» لكحالة (١١٨/١).
- «معجم المطبوعات» لسركيس (١٠٩٠).
- «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي» لأحمد الريسوني (ص ٨٧ - ١١٤).
- «نيل الابتهاج» للتنبكتي (٤٦).

❁ المقالات:

مجلة «الاجتهاد» مقال: «الشاطبي والاجتهاد التشريعي المعاصر، لعبد المجيد تركي، العدد ٨، السنة ١٩٩٠.

القشتاليين، وحاصر قرطبة إظهاراً لقوته[1].

وفي عهد ابنه يوسف الثاني هجم العدو على مرج غرناطة فردهم عنه وأغار على مدن مما استولوا عليه، ولكن جهوده شُتِّتَت لما انصرف إلى إخماد ثورة خالد مولى أبيه، وثورة ابنه عليه.

وقد تواصلت الاضطراباتُ والفتنُ بالمملكة الغرناطية حتى مهدت لسقوط غرناطة آخر المعاقل الأندلسية أواخر القرن التاسع.

وكانت هذه المملكة في عصر الشاطبي موئلاً لكثير من المسلمين الذين تسقط مدنهم بأيدي النصارى: يهاجرون إليها محافظة على دينهم وعقيدتهم[2].

---

(١) «نهاية الأندلس» لعنان (١١٢).

(٢) من القضايا التي كانت مثارة على بساط البحث وصدرت فيها فتاوى الفقهاء قضية المدجنين الذين لم يهاجروا بعد سقوط مواطنهم. هل يحكم بعدالتهم أم لا؟ وهل تسقط شهادتهم لسكناهم تحت سلطة النصارى؟

وقد أفتى مفتي فاس العلامة محمد العبدوسي (ت ٨٤٩) بأن المقام بين أظهر الكفار اختياراً كبيرة عظيمة، وبأنه يجب الخروج على من قدر ولو بتسليم أمواله إن كان يبقى له منها ما يبلغه أرض الإسلام، وأما المقام بأرض الكفر من أجل الخوف على النفس والمال؛ فهو جائز ولا يكون جرحة في المقيم.

انظر: «الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء غرناطة» (٣٢ مخطوط الأسكوريال ١٠٩٦)، وكتاب الونشريسي «أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر» وهو في «المعيار المعرب» له بتمامه (٢ / ١١٩ ـ ١٤١)، ونشر في بعض المجلات، وله أيضاً في المسألة فتوى، انظر كتابنا «الإشارات» (رقم ٦٢، ٦٧٧ ـ ط الأولى).

وذلك مما جعل هذه الرقعة الأندلسية تستقطب العلماء وأهل الخبرة، وترث ما عُرف لدى أهل الأندلس من حذق لصناعة الأسلحة والأقمشة والأواني والورق والجلود، وتصدر مصنوعات، وتربط صلات اقتصادية وتجارية مع دول أخرى[1].

ونستفيد من نص استفتاء موجه إلى الإمام الشاطبي أن المسلمين احتاجوا إلى بعض المواد الضرورية، ومنهم من تساءل: هل تبيح لهم هذه الحاجة أن يبيعوا للكفار ما كان الفقهاء منعوا بيعه لهم؛ لأنه يقويهم، ونص السؤال: (هل يباح لأهل الأندلس بيع الأشياء التي منع العلماء بيعها من أهل الحرب كالسلاح وغيره، لكونهم محتاجين إلى الضرورة في أشياء أخر من المأكول والملبوس وغير ذلك، أم لا فرق بين أهل الأندلس وغيرهم من أرض الإسلام، وهل يتنزل الشمع منزلة ما ذكر إن قلتم بالمنع من بيعه منهم أم لا؟ وهل يصنع الشمع ويبيعه من عطار يعلم أنه يبيعه من كافر...؟)[2].

كما يفيد نص استفتاء آخر أن نقص الغذاء دفعهم إلى استغلال

---

(١) «نهاية الأندلس» (٣٢٦).

(٢) «الحديقة المستقلة النضرة» (٣٣).

والملاحظ أن الشاطبي منع ـ في فتواه ـ بيع ما يستعين به الكفار على المسلمين منهم ولم يقدر الضرورة، وقال: «وما عللتم به من حاجتنا إليهم فليس بموجب لتسويغ البيع منهم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...﴾ الآية فنبهت الآية على أن الحاجة إليهم في جلب الطعام إلى مكة لا ترخص في انتهاك حرمة الحرام، فكذلك لا رخص في استباحة الإضرار بالمسلمين».

المورد البحري، ولكن عقد إجارة السفن كان يتم دون أن يكون الأجر معلوماً عند التعاقد، فتساءلوا: (كيف والقطر الأندلسي لا يخفى حاله، والحاجة فيه إلى الطعام، وجل طعامه الآن من البحر، وكثير من أهل القطر يروم التسبب في إنشاء سفينة أو شرائها... ويمنعه من ذلك كراؤها على الوجه المذكور والحال في الوطن لا يخفى والضرورة فيها ظاهرة؟)[1].

وحدثنا لسان الدين بن الخطيب عن القوت الغالب لأهل الأندلس في عهده من بر وقطاني وعن الفواكه التي تجفف وتُدخر، فيستمر مددها مدة طويلة[2]، وذلك من عطاء أرضهم التي اشتهرت بخصبها وأنهارها الجارية.

ولكن اضطراب حبل الأمن كان له أثره في تناقص الثروة، ومن مظاهر ذلك؛ عجز بيت المال عن ترميم الأسوار وتجديدها، حتى دعي الأهالي للإنفاق في هذا الوجه تحصيناً للبلاد ودفعاً للهجوم[3].

---

(١) «شرح ابن عاصم على تحفة أبيه» (٢/ ٦٠أ ـ ٦٠ب)، وكان ابن سراج يفتي بجواز هذه الإجارة التي لا يكون الثمن عند عقدها معلوماً مراعاة للضرورة وبناء على المصلحة.

ولاحظ ابن عاصم أن العمل بمقتضى فتواه يخفف مسائل كثيرة ظاهرها المنع على أصل المذهب المالكي.

(٢) «اللمحة البدرية» (٢٨ ـ ٢٩).

(٣) «نيل الابتهاج» (٤٩).

وقد أفتى الإمام الشاطبي بجواز توظيف بناء السور على أهل الموضع اعتماداً على المصلحة وتقديراً للظروف الأندلسية الحرجة، وخالفه في ذلك عصريه أبو سعيد فرج بن لب الغرناطي.

ومع هذا الوضع المضطرب فإن لوناً من البذخ ينتشر، وإقبالاً على المجوهرات عند الأغنياء المترفين، وتفنناً في الزينة والتماجن في أشكال الحلي عند النسوة، وولوعاً بالغناء يفشو حتى بالدكاكين التي تجمع الشباب[1].

أما المناخ الثقافي الذي تعرفه غرناطة في حياة الشاطبي؛ فهو مزدهر نسبياً: إذ تتواصل فيه سنة الاهتمام العلمي ويقبل فيه العلماء على إثراء رصيد المعرفة بمؤلفاتهم وأبحاثهم، ويستمر سند الحديث ورواية كتب العلم وتدوين برامج الشيوخ.

وقد قامت في الحضرة الغرناطية مؤسستان علميتان لهما إشعاعهما الفكري، ودورهما الهام في بث العلم ودراسة الكتب على اختلاف فنونها وهما: الجامع الأعظم والمدرسة النصرية[2]، وذلك إلى جانب المساجد وبيوت العلماء التي تشهد حلقات الدرس والبحث.

ومن سلاطين دولة بني الأحمر وأمرائها من شُغف بالفنون وولع بالأدب كأبي الحجاج يوسف بن إسماعيل المتوفى سنة ٧٥٥، وأبي الوليد إسماعيل بن يوسف الثاني المتوفى سنة ٨٠٥ وهو صاحب «نثير

---

(١) «اللمحة البدرية» (٢٨ ـ ٢٩).

(٢) تعرف أيضاً بالمدرسة اليوسفية، وقد أسسها أبو الحجاج يوسف الأول في منتصف القرن الثامن على يد حاجبه أبي النعيم رضوان، وأوقف أموالاً للإنفاق عليها.
وكان يدرس بها نخبة من العلماء، وكانت تضم كتباً أوقفها المحسنون عليها وكان الشاطبي من روادها يحضر مجالس العلم فيها ويتصل بمدرسيها.
انظر عنها: «رحلة القلصادي» (ص ١٦٧)، و«الإحاطة» (١/٥٠٧ ـ ٥١٢)، و«كناسة الدكان» (١٥٥ ـ ١٥٦).

الجمان»[1]، ومن وزرائهم من ينتمي إلى صف الأدباء والشعراء مثل ابن الحكيم الرندي وابن الجياب ولسان الدين بن الخطيب وابن زمرك، الذين كانوا من أقطاب الحركة الفكرية في عصرهم[2].

ومن الأعلام الأندلسيين اللامعين في هذه الفترة مَنْ ضرب بسهم وافرٍ في علوم العربية كأبي عبد الله محمد بن علي الفخار البيري شيخ نحاة الأندلس[3] المتوفى سنة ٧٥٤، وأبي الحسن علي بن سمعت[4].

ومنهم من اتجه إلى المجال الفقهي كأبي القاسم محمد بن أحمد ابن سلمون الكناني قاضي الجماعة[5] المتوفى سنة ٧٦٧هـ وهو مؤلف «العقد المنظم للحكّام»، وكأبي سعيد فرج بن لُبّ الغرناطي[6] المتوفى سنة ٧٨٢هـ، وكأبي عبد الله محمد بن علاق[7] المتوفى سنة ٨٠٦ وهو فقيه محدث شارح «المختصر الفرعي» لابن الحاجب، وكأبي عبد الله محمد الحَفَّار الأنصاري[8] المتوفى سنة ٨١١، وكأبي بكر بن عاصم[9]

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور رضوان الداية، وصدرت دراسة عن دار الثقافة في الدار البيضاء، بقلم عبد القادر زمامة، بعنوان «أبو الوليد بن الأحمر» في (٣٢٠ صفحة).

(٢) «نهاية الأندلس» (٣٤١ ـ ٣٤٢).

(٣) «نفح الطيب» (٥/ ٣٥٥)، و«غاية النهاية» (٢/ ٢٠٠).

(٤) «نيل الابتهاج» (٢٠٧).

(٥) «المرقبة العليا» (١٦٧).

(٦) سيأتي ضمن شيوخ الشاطبي.

(٧) «شجرة النور» (٢٤٧).

(٨) «برنامج المجاري» (١٠٤)، و«درة الحجال» (٢/ ٢٨٤)، و«نيل الابتهاج» (٢٨٢).

(٩) «شجرة النور» (٢٤٧).

المتوفى سنة ٨٢٩ صاحب أرجوزة القضاء «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام»، وكأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المِنْتُوري[١] المتوفى سنة ٨٣٤، وكأبي القاسم محمد بن سِراج مفتي غرناطة شارح «المختصر» الخليلي[٢] المتوفى سنة ٨٤٨.

وهناك من اهتم بجمع بعض فتاوى هذه الطبقة من فقهاء الأندلس، مثل أبي العباس الونشريسي صاحب «المعيار»، وأبي الفضل ابن طركاط.

وهكذا كانت الحركة العلمية إلى أواخر القرن الثامن مزدهرة دالة على قوة استطاعت أن تقاوم فترة ما داء الانحطاط الذي كان يتسرب إلى كيان الأندلس[٣]، ويدفعه إلى المصير المحتوم.

ولقد كان لمفكري الأندلس وعلمائه في هذا العهد المضطرب محاولات للإصلاح ورأبِ الصدع ودعوة إلى الجهاد وبث لروح العزم في النفوس وتبصير بالخطر المحدق.

ومن ذلك مواقف الشاطبي في محاربة البدع والضلالات.

ومن ذلك ما سجله الأدبُ الأندلسي منثوره ومنظومه مما صدع به لسان الدين بن الخطيب وأبو يحيى بن عاصم في كتابه «جنة الرضى» وأضرابهما من ذَوي الوعي والإدراك الديني والطموح إلى الاتحاد مصدر القوة وإلى استعادة المجد، وإحياء قيمة الجهاد وتحريك داعيه

---

(١) له فهرست حافلة بالخزانة الملكية بالرباط ضمن مجموع رقمه (١٥٧٨).

(٢) «شجرة النور» (٢٤٨).

(٣) «أليس الصبح بقريب» للطاهر بن عاشور (٧٩).

في نفوس أهل الأندلس.

الشاطبي ومكانته العلمية:

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي من أهل غرناطة.

لم يلق مترجموه الأضواء على نسبه وأسرته ولم يذكروا سنة ولادته، وإنما تحدثوا عن شيوخه بغرناطة ونشاطه العلمي بها، مما يدل على نشأته بها، وأنه عاش بها إلى أن توفي، في شعبان[1] سنة ٧٩٠هـ/ أو سنة ١٣٨٨م.

كان إبراهيم الشاطبي من ألمع أعلام عصره بالأندلس، يتبوَّأُ مكانة علمية سامية ويمتاز بتعمقه في علوم العربية وعلوم الشريعة، مما خول له استكناه أسرارها وإبراز مقاصدها وضبط قواعدها وربط فروعها بأصولها.

وقد حدثنا عن شغفه المبكر بالعلم، وتدرجه في تلقيه وفهم مقاصد الدين إلى أن أدرك كماله وتحقيقه للسعادة، فقال:

«لم أزلْ منذ فُتق للفهم عقلي، ووجه شطر العلم طلبي، أنظر في عقلياته وشرعياته وأصوله وفروعه، لم أقتصر منه على علم دون علم، ولا أفردت عن أنواعه نوعاً دون آخر، حسبما اقتضاه الزمان والإمكان وأعطته المنة المخلوقة في أصل فطرتي، بل خضت في لججه خوض

---

(١) «برنامج المجاري» (١٢٢).
أسبق شيوخ الشاطبي وفاة هو ابن الزيات (ت ٧٢٨) ونستنتج من ذلك أن الشاطبي يمكن أن يكون عمره متجاوزاً السبعين.

المحسن للسباحة، وأقدمت في ميادينه إقدام الجريء حتى كدت أتلف في بعض أعماقه، أو أنقطع في رفقتي التي بالأنس بها تجاسرت على ما قدر لي، غائباً عن مقال القائل وعذل العاذل، ومعرضاً عن صد الصاد ولوم اللائم إلى أن منَّ علي الرب الكريم الرؤوف الرحيم، فشرح لي من معاني الشريعة ما لم يكن في حسابي، وألقى في نفسي القاصرة أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركا في سبيل الهداية لقائل ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالاً يعتد به فيه، وأن الدين قد كمل، والسعادة الكبرى فيما وضع، والطلبة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان، وإفك وخسران، وأن العاقد عليه بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى محصل لكلمتي الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلام، وخيالات وأوهام، وقام لي على صحة ذلك البرهان الذي لا شبهة تطرق حول حماه، ولا ترتمي نحو مرماه ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]، والحمد لله والشكر كثيراً كما هو أهله، فمن هناك قويت نفسي على المشي في طريقه بمقدار ما يَسَّرَ الله فيه، فابتدأتُ بأصول الدين عملاً واعتقاداً، ثم بفروعه المبنية على تلك الأصول»[١].

وقد شهد كثير من العلماء بفضل الشاطبي ونوَّهُوا بجهوده وحلَّوْهُ بما يستحق من الصفات المصورة لمكانته.

قال عنه تلميذه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي المُجَاري الأندلسي: «الشيخ الإمام العلامة الشهير نسيج وحده وفريد عصره»[٢].

---

(١) «الاعتصام» (١/٨ ـ ٩).

(٢) «البرنامج» (١١٦).

وقال في حقه الإمام ابن مرزوق الحفيد: «الشيخ الأستاذ الفقيه الإمام المحقق العلامة الصالح»[1].

وقال أحمد بابا السوداني في ترجمته: «الإمام العلامة المحقق القُدوة الحافظ الجليل المجتهد، كان أصولياً مفسراً فقيهاً محدثاً لغوياً بيانياً نظاراً ثبتاً ورعاً صالحاً زاهداً سُنّياً إماماً مطلقا بحاثاً مدققاً جدلياً بارعاً في العلوم، من أفراد العلماء المحققين الأثبات وأكابر الأئمة المتفننين الثقات، له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقهاً وأصولاً وتفسيراً وحديثاً وعربية وغيرها مع التحري والتحقيق... على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع»[2].

ويدل على استحقاقه لهذه التحلية مؤلفاته، وما ذاع له من صيت طيب.

شيوخه:

استفاد أبو إسحاق الشاطبي من أعلام كانوا من خيرة المراكز العلمية ببلاد المغرب العربي في عصره، وكان لهم شهرة ذائعة ودور هام في خدمة الثقافة الإسلامية وتركيزها في هذه الربوع، وقد كان لهم بالغ الأثر في تكوين شخصيته وتزويده بفيض من المعارف العقلية والنقلية.

---

(١) «النيل» (٤٧).

(٢) «النيل» (٤٦ ـ ٤٧).

والملاحظ أن الذين ترجموا للشاطبي بعد أحمد بابا تابعوه في تحلية الشاطبي بهذه الصفات مثل مخلوف في «الشجرة» (٢٣١)، وعبد الوهاب بن منصور في «أعلام المغرب العربي» (١/ ١٣٢).

وكان من هؤلاء الأعلام: المستقرون بغرناطة باعتبارهم من أهلها، ومنهم من وفد عليها من عدوة المغرب ليستوطنها أو ليؤدي بها بعض المهمات.

فأما شيوخه الغرناطيون، فالمعروف منهم:

- أبو عبد الله محمد بن الفخار البَيْرِي المتوفى سنة ٧٥٤هـ.

يقول عنه تليمذُه ابن الخطيب: «الإمام المجمع على إمامته في فنِّ العربية المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظاً واطلاعاً واضطلاعاً ونقلاً وتوجيهاً، لما لا مطمع فيه لسواه»[١].

وكان من أحسن قراء الأندلس تلاوةً وأداءً.

قرأ عليه الشاطبي بالقراءات السبع في سبع ختمات، وأكثر عليه في التفقه في العربية وغيرها[٢]، ولازمه إلى أن مات[٣].

وبعد موته سأل الشاطبي ربه تعالى أن يريه إياه في المنام ليوصيه بوصية ينتفع بها، فاستجاب الله دعاءه وكانت الوصية: «لا تعترض على أحد»[٤].

وكان الشاطبي يُحلي شيخه هذا «شيخنا الأستاذ الكبير العلم الخطير»[٥].

---

(١) «نفح الطيب» (٥/ ٣٥٥).

(٢) «برنامج المجاري» (١١٩).

(٣) «النيل» (٤٧).

(٤) «الإفادات والإنشادات» (ص ٩٨) الإفادة رقم ١٧.

(٥) المرجع السابق.

- أبو جعفر أحمد الشقوري[1] الفقيه النحوي الفرضي الذي كان يدرس بغرناطة «كتاب سيبويه»، و«قوانين ابن أبي الربيع»، و«تلخيص ابن البناء»، و«ألفية ابن مالك»، و«فرائض التلقين»و«المدونة الكبرى»[2].

- أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي المتوفى سنة ٧٨٢هـ مفتي غرناطة وخطيب جامعها والمدرس بمدرستها النَّصْرِيَّة.

وقد نقل عنه الشاطبي بعض الفوائد النحوية وغيرها، ونعته «بالأستاذ الكبير الشهير» وكان له أثر في رسم تجاهه في الفتوى كما سنرى وشيكاً[3].

- أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي الأوسي المتوفى سنة ٧٨٢ وهو مؤلف تَفْسير وكتاب في مبهمات القرآن[4].

- أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي المعروف باللَّوشي، نشأ هذا الشيخ بلَوْشَة[5] وقرأ بها، واشتهر بالأدب الجيد، وأخذ عن أبي جعفر أحمد بن الزبير، وأبي عبدالله محمد بن رُشد الفهري، وأبي الحسن القيجاطي، وأبي عبدالله

---

(١) ذكره أحمد بابا من شيوخه في «النيل» (٤٧).

(٢) هو من شيوخ المجاري ولم نعثر له بعد على ترجمة، وما أوردناه أعلاه من «برنامج المجاري» (١٢٥).

(٣) انظر: «الإفادات والإنشادات» (ص ١٥٢ ـ ١٥٣) إفادة رقم (٧٥).

(٤) «درة الحجال» (٢/ ٢٧٦).

(٥) لوشة مدينة أندلسية تقع غربي غرناطة على بعد ٥٥ كلم سقطت بيد الإسبان سنة ٨٩١ ـ وكانت مقر أسرة لسان الدين بن الخطيب الذي وصفها في كتابه «معيار الاختيار» (١٢٥ ـ ١٢٦) وتعرف اليوم Loja .

محمد بن سَلْمُون الكِناني، ومن تلاميذه يحيى السَرَّاج الذي ترجمهُ في «فهرسته» وذكر أنَّ ولادته سنة ٦٩٢ وأنه توفي بغرناطة[١].

وأما شيوخه الذين كانوا وافدين على غرناطة مساهمين في إثراء الحركة الفكرية بها، فهم:

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المَقَّري (الجد) المعروف بالمَقَّري الكبير المتوفى سنة ٧٥٩. وكان الشاطبي يحضر بالجامع الأعظم دروسه التي كان يلقيها بمحضر وجوه طلبة غرناطة وعلمائها ابتداء من ربيع الأنور[٢] سنة ٧٥٧، وهو تاريخ قدومه الأندلس سفيراً.

تفقه الشاطبي عليه، وسمع عليه جملة من كتابه «تكميل التعقيب على صاحب التهذيب»، وبعض نظمه «لمحة العارض تكملة ألفية ابن الفارض»، وبعض «اختصاره لجمل الخونجي»، وكتاب «القواعد الفقهية» له أيضاً.

«وسمع عليه جميع كتاب «الحقائق والرقائق» من تأليفه أجازه به وبجميع ثلاثيات البخاري»، وببعض من كتب أخرى في الحديث والفقه والقراءات والعربية، وحدثه بأسانيده إلى مؤلفيها[٣].

---

(١) «الإحاطة» (٢/٢٦٩)، «أوصاف الناس» (٥٩)، «فهرس السراج» (١١٩أ ـ ١٢٠ب).
وقد ذكر المجاري أن الشاطبي استجاز شيخه اللوشي فأجازه إجازة عامة بشرطها «البرنامج» (١١٩).

(٢) انظر: «الإفادات والإنشادات» (ص ١٢٦ ـ ١٢٧) الإفادة رقم (٤٧).

(٣) «برنامج المجاري» (١١٩ ـ ١٢١).

ـ أبو القاسم محمد بن أحمد الشَّرِيف الحَسَنِي السبتي قاضي الجماعة المتوفى بغرناطة سنة ٧٦٠، رئيس العلوم اللسانية وشارح «مقصورة حازم القرطاجني»[١].

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني أعلم أهل وقته[٢].

ـ أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، وهو فقيه نظار. «قرأ عليه «مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل» للإمام أبي عمرو بن الحاجب من أول مبادىء اللغة إلى آخره بلفظه إلا يسيراً منه سمعه بقراءة غيره، وكل ذلك قراءة تفقه ونظر، وأجازه إجازة عامة بشرطها»[٣].

وكان أبو علي الزواوي أخذ عن شيوخ بجاية وتلمسان وحل بالأندلس سنة ٧٥٣ فأخذ عن ابن الفخار الذي أذن له في التحليق بموضع تدريسه، وأقام بها إلى سنة ٧٦٥، وكان حيًّا في حدود[٤] سنة ٧٧٠.

ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني[٥] المتوفى بالقاهرة سنة ٧٨١.

---

(١) «النيل» (٤٧).

(٢) «كفاية المحتاج» (٧٥ب).

(٣) «برنامج المجاري» (١١٩).

(٤) «البستان» (٢٩٢) وما بعدها.

(٥) «الأعلام» (٦/ ٢٢٦)، «البستان» (١٨٤).

وقد سمع عليه الشاطبي في مجالس بالمدرسة النصرية وبالجامع الأعظم كتابي «الجامع الصحيح» للإمام البخاري، و«موطأ الإمام مالك ابن أنس» برواية يحيى بن يحيى، وذلك بقراءة الخطيب أبي عبد الله الحفار.

وأجاز شمس الدين بن مرزوق بهذين الكتابين وبجميع ما يحمل تلميذه الشاطبي إجازة عامة بشرطها[١].

وللشاطبي شيخ في سلوك طريق الإرادة هو الولي الصالح أبو جعفر بن الزيات الذي كان يحب العلم وأهله، وقد نقل عنه الشاطبي قوله: «لو كان لي بيت مال لأنفقته على طلاب العلم فإنهم قدوتنا وسادتنا وبركتنا وأدلتنا»[٢].

هذا وقد أشار أحمد بابا التنبكتي إلى استفادة الشاطبي من بعض العلماء الذين اجتمع معهم[٣]، وذكر منهم الحافظ الفقيه أبا العباس أحمد القباب[٤] (ت ٧٧٩)، والمفتي المحدث أبا عبد الله الحفار[٥] (ت ٨١١).

ويمدنا كتاب «الإفادات والإنشادات» للشاطبي بأسماء أعلام آخرين من الذين استفاد منهم مترجمنا وروى عنهم ـ غير شيوخه سالفي

---

(١) «برنامج المجاري» (١١٩).

(٢) «روضة الأعلام» (٤٣أ) مخطوط المكتبة الملكية بالرباط (٢٥٦٧).

(٣) «النيل» (٤٨)، وانظر: «الموافقات» (١/ ١٤٨) وتعليقنا عليه.

(٤) كان القباب دخل غرناطة سفيراً سنة ٧٦٢ ـ ترجمته في «النيل» (٧٢).

(٥) ترجمته في «برنامج المجاري» (١٠٤)، «درة الحجال» (٢/ ٢٨٤)، «النفح» (٢/ ٦٩٤ ـ ٥/ ٤١٣، ٤٢٩)، «النيل»(٢٨٢).

الذكر ـ وهم:

ـ القاضي أبو بكر محمد بن عمر القرشي الهاشمي من أدباء الأندلس «الإنشادات» (٢ ـ ٣٠ ـ ٣٦ ـ ٧٠ ـ ٧٦ ـ ٨٦ ـ ٨٨).

ـ أبو القاسم بن البناء الفقيه الراوية الرحلة، وقد سلسل عليه الشاطبي بعض الأحاديث «الإنشادة» (١٠).

ـ أبو محمد بن الناظر الفقيه الصوفي «الإنشادة» (١٤).

ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخولاني الشريشي الفقيه الكاتب معلم ولد السلطان النصري «الإنشادات» (١٦ ـ ٦٢ ـ ٦٤ ـ ٦٨).

ـ أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الفقيه الأديب الوزير «الإنشادات» (١٨ ـ ٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٤٠ ـ ٥٢ ـ ٩٠).

ـ أبو عبد الله محمد بن البكاء الفقيه الأستاذ الفاضل «الإفادة» (٢٩).

ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن بقي الفقيه الأستاذ «الإنشادات» (٣٤ ـ ٣٨ ـ ٤٦ ـ ٥٠ ـ ٥٦ ـ ٦٠).

ـ أبو جعفر بن الراوية الفقيه الأستاذ «الإفادة» (٩١).

ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن بيبش العبدري «الإفادة» (٦٥).

ـ أبو الحجاج يوسف بن علي السدوري المكناسي الفقيه الموقت «الإفادة» (٨٣).

- أبو عبد الله الشقوري الفقيه الطبيب «الإفادة» (٣٥).

أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي الفقيه القاضي الرحلة «الإنشادتان» (٩٦ ـ ٩٨).

- أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج «الإنشادة» (٧٢).

- أبو الحسن علي الكحيلي الفقيه المتفنن الذي درس عليه الشاطبي «أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة» «الإفادة» (٨٥).

تلاميذه:

أخذ عن أبي إسحاق الشاطبي جماعة من أعلام غرناطة ذكر أحمد بابا التنبكتي منهم ثلاثة: أبا يحيى بن محمد بن عاصم، وأخاه أبا بكر القاضي، وأبا عبد الله محمد البياني[١].

والأخوان المذكوران من أسرة علمية شهيرة بغرناطة، وقد كان أبو يحيى عالماً خطيباً أديباً وارثاً لخطة شيخه الشاطبي[٢] وكان من أبطال الجهاد وفي ساحته الشريفة استشهد[٣] سنة ٨١٣، وكان القاضي أبو بكر فقيهاً أصولياً محدثاً يُرجع إليه في الفتوى، ومن تآليفه: «تحفة الحكام» التي وقع الإقبال عليها شرحاً وتعليقاً ودراسة، وله أراجيز في أصول الفقه والنحو والفرائض والقراءات[٤]، توفي سنة ٨٢٩.

ومن تلاميذ الشاطبي أيضاً أبو جعفر أحمد القصار الأندلسي

---

(١) «النيل» (٤٩).

(٢) «شجرة النور» (٢٤٧).

(٣) فيما نحسب ونرجو إن شاء الله تعالى.

(٤) «شجرة النور» (٢٤٧).

الغرناطي.

وقد أفادنا أبو عبد الله بن الأزرق عن شيخه أبي إسحاق بن فتوح أن الشاطبي كان يطالع هذا التلميذ النبيه ببعض المسائل عند تصنيفه لكتاب «الموافقات» ويباحثه فيها ثم يدونها في كتابه شأن الفضلاء من ذوي الإنصاف[1].

ومن تلاميذه أيضاً أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبدالواحد المجاري الأندلسي المتوفى سنة ٨٦٢، الذي ذكره في «برنامجه» مع الذين أخذ عنهم بغرناطة قبل رحلته المشرقية، وقال: «عرضت عليه «ألفية ابن مالك» عن ظهر قلب، وحدثني بها عن شيخه الإمام العلامة أبي عبد الله البيري، عن الإمام النحوي أبي محمد عبدالمهيمن الحضرمي السبتي عن الشيخ إمام النحاة أبي عبدالله محمد ابن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النحاس عن مؤلفها أبي عبدالله بن مالك وأجاز لي عامة، قال رحمه الله: وأبحتُ له روايتها عني وجميع ما رويته أو قيدته وعلى شرطه المعروف عند أهل الحديث، وبرئت إليه من الخطأ والتصحيف والوهم والتحريف، ولم يجز أحداً غيري ممن قرأ عليه إجازة عامة ـ فيما أعلم ـ وكتبها بخطه، رحمه الله وجزاه أفضل الجزاء»[2].

وذكر أنه أخذ عنه «كتاب سيبويه»، و«مختصر ابن الحاجب» الأصلي و«موطأ الإمام مالك» مع سرد أسانيده إلى مؤلفيها[3].

---

(١) «النيل» (٧٦).

(٢) «برنامج المجاري» (١١٦).

(٣) «برنامج المجاري» (١١٦ ـ ١١٧).

ونستفيد من سند أورده الكتاني أن أبا الحسن علي بن سمعت[١] يروي عن الشاطبي الذي أجازه إجازة عامة[٢].

مؤلفاته:

للإمام أبي إسحاق الشاطبي تآليف وصفها أحمد بابا بأنها «نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمات الفوائد»[٣].

وهذه المؤلفات هي التالية:

- «شرح جليل على الخلاصة في النحو»، يقع في أربعة أسفار كبار، يقول أحمد بابا: «لم يؤلف عليها مثله بحثاً وتحقيقاً فيما أعلم»[٤].

- «كتاب المجالس»، شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري، فيه كثير من الفوائد والتحقيقات[٥].

- «شرح رجز ابن مالك في النحو» (الألفية)[٦].

---

(١) علامة محقق فقيه نحوي، ترجمته في «النيل» (٢٠٧).

(٢) «فهرس الفهارس» (٢/ ٩٢)، ط١.

(٣) «النيل» (٤٨).

(٤) «النيل» (٤٨).

(٥) «النيل» (٤٨)، و«الأعلام» (١/ ٧١).

(٦) «الأعلام» (١/ ٧١).

وتوجد من هذا الشرح نسخة خطية بالخزانة الملكية بالرباط، رقمها ٢٧٦.

ويذكر المجاري أنه سمع بعضه عليه «البرنامج» (١١٨).

ويقوم مركز البحوث بجامعة أم القرى بتحقيق هذا الشرح ونشره.

وقد اعتمد أبو عبدالله بن غازي المكناسي المتوفى سنة ٩١٩ هذا الشرح عندما ألف كتاباً لحل مشكلات كلام أبي علي المرادي وطرزه بما يستملح من نكت الشاطبي، وسمى تأليفه: «إتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق»[١].

وقد ذكر في هذا الشرح كتابين آخرين له في النحو، سماهما:

ـ «أصول النحو».

ـ و«عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق».

ويذكر أحمد بابا أنه رأى في بعض المواضع أنه أتلف الأول في حياته وأن الثاني أتلف أيضاً[٢].

ـ «الإفادات والإنشادات»:

حققه الأستاذ الدكتور محمد أبو الأجفان، وهو مطبوع.

يقول عنه أحمد بابا التنبكتي: «كتاب «الإفادات والإنشادات» في كراسين، فيه طرف وتحف وملح أدبيات وإنشادات»[٣].

وكان هذا الكتاب من مرويات الشيخ محمد عبدالحي الكتاني الذي قال عنه: «... حدث فيه كثيراً عن أبي عبدالله المقري والخطيب ابن مرزوق والقاضي أبي القاسم الحسيني السبتي وغيرهم، وساق فيه كثيراً من المسلسلات واللطائف الإسنادية، أرويه وكلَّ ما

---

(١) توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس رقمها ٨٩٠٢.

(٢) «النيل» (٤٨ ـ ٤٩).

(٣) «النيل» (٤٨).

للشاطبي من طريق النجم بن فهد عن أبي عبدالله الرَّاعي عن أبي الحسن بن سمعت عن الشاطبي رحمه الله»[1].

وقد عبر الإمام الشاطبي عن غرضه من هذا التأليف، فقال: «إني جمعت لك في هذه الأوراق جملة من الإفادات المشفوعة بالإنشادات مما تلقيته عن شيوخنا الأعلام، وأصحابي من ذوي النبل والإفهام، قصدت بذلك تشويق المتفنن في المعقول والمنقول، ومحاضرة المستزيد من نتائج القرائح والعقول»[2].

وبعد المقدمة الموجزة للكتاب عرض المؤلف خمسين إفادة جاعلاً كلَّ واحدة مشفوعة بإنشادة مما رواه عن الناظمين مباشرة أو بواسطة يذكرها، ثم توّج المائة بإفادة وإنشادة تضمنتا سؤالاً عقدياً منظوماً في القضاء والقدر، موجهاً إلى الأستاذ أبي سعيد فرج بن لُبٍّ، وجوابه المنظوم مع بيان للآيات التي أشار إليها ابنُ لُبّ في أبياته.

ولئن كانت الإفادات متنوعة المواضع فإن للعربية (قواعدها وأدبها وبلاغتها) الحظ الأوفر في الإفادات، مما يدل على نزعة المؤلف إلى علوم العربية، كما تدل بقية الإفادات على حرصه على تنويع فنون المعرفة ومصادرها.

ـ «الموافقات» (كتابنا هذا، ومضى الكلام عليه بالتفصيل).

ـ «الاعتصام»، وهو من أجل الكتب التي تناولت موضوع البدع، وحررت الكلام في مسائلها، فقد بحثها بحثاً علمياً وسبرها بمعيار

---

(١) «فهرس الفهارس» (١/ ١٣٤) ط١.

(٢) «الإفادات والإنشادات» (ص ٨١).

الأصول الشرعية.

ولكنه لم يتم هذا الكتاب الهام، وما أنجزه منه جاء ممتعاً مفيداً منحصرا في عشرة أبواب هي التالية:

(الباب الأول: في تعريف البدع ومعناها.

الثاني: في ذم البدع وسوء منقلب أهلها.

الثالث: في أن ذم البدع والمحدثات عام وفيه الكلام على شبه المبتدعة، ومن جعل البدع حسنة وسيئة.

الرابع: في مأخذ أهل البدع في الاستدلال.

الخامس: في البدع الحقيقية والإضافية والفرق بينهما.

السادس: في أحكام البدع وأنها ليست على رتبة واحدة.

السابع: في الابتداع، يختص بالعبادات أم تدخل فيه العادات؟

الثامن: في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان.

التاسع: في السبب الذي لأجله افترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين.

العاشر: في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة[١].

وقد طبعت دار المنار هذا الكتاب بعناية دار الكتب المصرية سنة

---

(١) «الاعتصام» ج، د (مقدمة رشيد رضا) ط١، المكتبة التجارية، وانظر على هذا الكتاب رأي الصعيدي في كتابه «المجددون في الإسلام» (٣٠٩).

١٩١٣، وبتقديم محمد رشيد رضا منشىء المنار)[١].

وهناك طبعة بدون تاريخ مصدرة بالتقديم المذكور أصدرتها المكتبة التجارية الكبرى لمصطفى محمد بمصر بتصحيح محمد سليمان.

وحققه أخونا الشيخ سليم الهلالي ونشرته دار ابن عفان بالدمام، والكتاب لا يزال بحاجة إلى خدمة علميَّة جليلة.

شعره:

كان الشاطبي ينظم الشعر، ولكن المصادر لم تمدنا بالكثير من نظمه الذي يقول عنه الباحث الأستاذ عبدالوهاب بن منصور: «أشعار متوسطة مثل أشعار الفقهاء التي هي أنظام في الحقيقة»[٢].

ومن شعره لما ابتلي بالبدع ما أنشده مشافهة تلميذه أبا يحيى محمد بن عاصم:

بُليت يا قوم، والبلوى منوعة ... بمن أداريه حتى كاد يُرديني

دفع المضرة لا جلباً لمصلحة ... فحسبي الله في عقلي وفي ديني[٣]

وكان الشاطبي ممن استجاب لدعوة الخطيب أبي عبدالله محمد ابن مرزوق التلمساني أحد أعلام عصره إلى نظم قصائد في مدح كتاب «الشفا» عندما عزم على شرحه، ليجعلها في ديباجة الشرح وقد نظم في

---

(١) «معجم المطبوعات العربية» (١٠٩١).

(٢) «أعلام المغرب العربي» (١/ ١٣٣).

(٣) «النيل» (٤٩).

هذا الغرض أبياتاً مطلعها:

يـا مـن سمَـا لِمَـرَاقـي المَجْـد مَقْصَـدُه
فنَفْسُــهُ بنفيــس العِلْــم قــد كلفــت

هــذي ريــاضٌ يــروق العقــل مخبَــرُهــا
هـي «الشِّفـا» لنفـوسِ الخلـق إن دنفـت[1]

وكان ممن نظم في هذا الغرض أيضاً أبو القاسم بن رضوان النجاري المتوفى سنة ٧٣٣، ولسان الدين بن الخطيب السلماني[2] المتوفى سنة ٧٧٦.

وقال محمد بن العباس التلمساني عن أبيات الشاطبي في «الشفاء»: «من أحسن ما قيل فيه»[3].

مقاومته للبدع:

كانت غرناطة في عصر الشاطبي مجمع فلول الهزائم الأندلسية وملتقى آفات اجتماعية وانحرافات دينية وخلقية، هيأت للتواكل والتناحر والضعف وانتشار بعض البدع التي كان الشاطبي يحس بخطرها، ويميزها عن السنن المشروعة، ويوضح الأدلة على تحريمها، ويجري ـ بذلك ـ في مقاومتها على المنهج العلمي الرشيد والطريق الشرعي المستقيم.

---

(١) انظر: «الإفادات والإنشادات» (ص ١٥١ ـ ١٥٢)، «الإنشادة» (٧٤).
(٢) «أزهار الرياض» (٤/ ٢٩٦) وما بعدها.
(٣) «النيل» (٤٩).

ولم تزده المحنة التي جلبها له موقفه هذا إلا رسوخاً في الحق وثباتاً على درب الدِّين ومضيًّا في المقاومة، فهو يقول: «لما وقع عليَّ من الإنكار ما وقع مع ما هدى الله إليه ـ والحمد لله ـ لم أزل أَتَتَبَّعُ البدع التي نبَّهَ عليها رسول الله ﷺ وحذَّر منها، وبيَّن أنها ضلالةٌ وخروج عن الجادَّة، وأشار العلماء إلى تمييزها والتعريف بجملةٍ منها، لَعَلِّي أجتنبها فيما استطعتُ وأبحثُ عن السُّنن التي كادت تطفىءُ نورها تلك المحدثات لعلِّي أجلو بالعمل سَنَاهَا، وأُعدُّ يوم القيامة فيمن أحياها، إذ ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السُّنن ما هو في مقابلتها، حسبما جاء عن السلف في ذلك»[1].

والإنكار عليه جعله غريباً بين المبتدعين، وقد اشتدَّ إحساسه بذلك عندما تولى خُططاً دينية ـ كالإمامة والخطابة ـ وأبى إلا أن يسير فيها على المنهج السني دون أن يَحِيدَ عنه، فهو يقول: «دخلت في بعض خطط الجمهور من الخطابة والإمامة ونحوها، فلما أردت الاستقامة على الطريق، وجدت نفسي غريباً في جمهور أهل الوقت، لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد، ودخلت على سُننها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد، ولم يكن ذلك بدعاً في الأزمنة المتقدمة، فكيف في زماننا هذا؟! فقد روي عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير»[2].

والغربة التي يعنيها هي التي أشار إليها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى

---

(١) «الاعتصام» (١/ ١٣).

(٢) «الاعتصام» (١/ ٩).

للغرباء»[1].

وقد بسط الحديث عن هذه الغربة في مقدمة «الاعتصام»، ولاحظ أن الإسلام قد كان «في أوَّله وجِدَّته مقاوماً بل ظاهراً، وأهلُه غالبين وسوادهم أعظم الأسودة، فخلا من وصف الغربة بكثرة الأهل والأولياء الناصرين، فلم يكن لغيرهم ممَّن لم يسلك سبيلهم أو سلكه ولكنه ابتدع فيه صولة يعظم موقعها ولا قوة يضعُف دونها حزب الله المفلحون، فصار على استقامة وجرى على اجتماع واتساق، فالشاذ مقهور مضطَهَد، إلى أن أخذ اجتماعُهُ في الافتراق الموعود، وقوته إلى الضعف المنتظر، والشاذ عنه تقوى صولَتُه ويكثُرُ سواده، واقتضى سرُّ التأسِّي المطالبة بالموافقة، ولا شك أنَّ الغالب أغلب، فتكالبت على سوادِ السنةِ البدعُ، والأهواءُ، فتفرق أكثرهم شيعاً، وهذه سنة الله في الخلق أنَّ أهل الحقِّ في جَنْبِ أهل الباطل قليل. . .»[2].

وقد آثر الشاطبي الغربة مع الذبِّ عن السنة ومقاومة أهل البدعة، ورأى أنَّ الهلاك في اتباع السنة هو النجاة، وأن مسايرة الباطل لا تغني من الله شيئاً.

وكانت نتيجة ذلك ما سجله بقوله: «قامت عليَّ القيامة، وتواترت عليَّ الملامَةُ، وفوَّقَ إليَّ العتابُ سهامَهُ، ونُسِبْتُ إلى البدعة والضلالة، وأُنزِلْتُ منزلة أهل الغباوة والجهالة، وإني لَوِ الْتَمَسْتُ لتلك المحدثات مخرجاً لوجدتُ، غير أن ضيق العطن، والبعد عن أهل الفطن، رَقى به

---

(١) مضى تخريجه (٥/ ٢٤٠).

(٢) «الاعتصام» (١/ ٧ ـ ٨).

مُرْتقى صعباً، وضيَّق عليَّ مجالاً رحباً، وهو كلام يشير بظاهره إلى أنَّ اتباع المتشابهات لموافقات العادات، أوْلى من اتباع الواضحات، وإن خالفت السلف الأول»[1].

ومن البدع التي لم يسايرها الشاطبي:

ـ التزام ذكر الخلفاء الراشدين في الخطبة على الخصوص.

وقد رُوِيَ عن أصبغ قوله في ذلك: «هو بدعة ولا ينبغي العمل به وأحسنهُ أن يَدْعُو للمسلمين عامة».

ـ ذكر الأئمة في الخطبة.

وذلك من المحدثات التي لم يكن عليها من تقدم.

ومخالفتُهُ للبدعة الأولى أدَّى إلى نسبته إلى الرفض ومخالفتُهُ للثانية جرت له تهمة القول بجواز القيام على الأئمة[2].

ـ زيادة عبارة (أصبح والحمد لله) في أذان الصبح.

قال الشاطبي عن هذه الزيادة: «بدعة قبيحة أُحدثت في المئة السادسة».

ـ الذكر على صوت واحد عند الخروج لصلاة العيد.

قال الشاطبي عن هذا الذكر: «ليس في نقل الشريعة ما يدل عليه، وظاهر النقل أن كل أحد كان يكبر جهراً في خاصة نفسه».

---

(١) «الاعتصام» (١/١١).

(٢) «الاعتصام» (١/١١).

ـ قراءة سورة يس بالجمع، عند غسل الميت.

قال الشاطبي عن هذه القراءة: «إنها قراءة القرآن في مواضع إزالة الأقذار والأوساخ التي يُنزه القرآن عنها، ويكفي الموفق أنه لم يكن من عمل السلف، وإنما جاء في قراءة يس ما جاء عند الاحتضار[1] لا عند الغسل ولا الدفن ولا غيرهما».

ـ قراءة الكتاب في المساجد للعامة.

واعتبر ذلك من مجالس القصص المكروه عند السلف الصالح وليس من مجالس الذكر[2].

ومما كان الشاطبي شنع به عادة الاحتفال بختم القرآن في رمضان ليلة معينة، يزاد فيها إيقاد النيران، وقد قال في ذلك: «إن ذلك لم يكن من عمل من تقدم، فإن تعظيم الليلة أو الشهر بإيقاد النيران فيه تعظيم للنار مع زيادة السرف واجتماع الغوغاء وظهور المنكرات باجتماع الرجال والنساء، وغير ذلك مما لا يحل»[3].

وكان الشاطبي يفرق بين المتصوفين وبين الفقراء المبتدعين الذين ظهروا في بيئة وانتحلوا أموراً غريبة أدخلوها في إطار العبادة، وكان يشدِّد النكير عليهم ويظهر ما هم عليه من الباطل، قال:

«نُسبت إلى معاداة أولياء الله، وسببُ ذلك أنِّي عاديت بعض

---

(١) ولم يثبت ذلك، كما بيّنتُه بتفصيل في تعليقي على «التذكرة» للقرطبي، يسَّر الله إتمامه بخير.

(٢) «الحديقة المستقلة النضرة» (٢٥ ـ ٢٦).

(٣) «الحديقة المستقلة النَّضرة» (٣٦).

الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة المنتصبين ـ بزعمهم ـ لهداية الخلق وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية ولم يتشبَّهُوا بهم»[1].

وهناك نص فتوى للإمام الشاطبي يتضمن دحضه لشبه هؤلاء الفقراء، ويُبين ما هم عليه من زيف وباطل[2].

وهناك طريقة فقرية متطرفة أَحلَّتْ ما حرَّم الله أُشهِدَ على رجل أنه ينتحلها وأنه يُحرِّف بعض الأسماء الحُسنى إلى معنى خسيس كما يحرف العبادة بما يتنافى مع ظاهر الشرع، وأنه يتعاطى الخمر مع رجال ونساء مدعياً أنه لا حاجة بأهل طريقته إلى التكليف، وقد أفتى الإمام الشاطبي بكفره وقتله ـ ومن غير استتابة ـ لخروجه عن الشريعة[3].

هذا، وقد سئل مترجمنا عن الحديث النبوي: «كل بدعة ضلالة» هل يحمل على عمومه أم تنقسم البدعة على أقسام الشريعة؟ فأجاب بقوله:

«إن قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» محمول عند العلماء على عمومه لا يُستثنى منه شيء البتة، وليس فيها ما هو حَسَنٌ أصلاً إذ لا حسن إلا ما حسَّنه الشرع. ولا قبح لا ما قبَّحه الشرع، فالعقل لا يُحَسِّنُ ولا يقبح، وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال. وما ذكره

(١) «الاعتصام» (١/ ١٢).

(٢) «المعيار» للونشريسي (٢/ ٥١١ ـ ٥١٣)، ط بيروت.

(٣) انظر نصّها الكامل آخر «الإفادات والإنشادات» (ص ١٧٦ ـ ١٧٨)، و«فتاوى الشاطبي» (ص ١٨٩ ـ ١٩٠).

بعض الناس في تقسيم البدع لا يصح ظاهره، بل له غَوْرٌ لا أقدِرُ الآن على تقديره، فمن حمله على ظاهره زَلَّ، وبالله التوفيقُ، وأمَّا قولُكُم أولاً: هل نحن مأجورون على فعلها أو داخلون تحت وعيد ما ذكرتُمْ؟ فإن يَحْيَى بن يَحْيَى قال: ليس في خلاف السنة رجاءُ ثوابٍ»[1].

وهكذا كان الإمام الشاطبي يوضح البدع ويقاومها، ويميّزُها عن السنن المشروعة.

وقد شهد له ببلوغ شأوٍ بعيد في ذلك بعض الأعلام المؤرخين لثقافتنا الإسلامية مثل أبي عبدالله محمد بن الأزرق الأندلسي الذي يقول: «للأستاذ أبي إسحاق الشاطبي في تلخيص هذا الأصل من شوائب ما يكدر صفوَهُ اليدُ الطولَى والسعيُ الذي لا يؤدي شكره إلا من عرف قدر ما يسَّرَ الله من ذلك على يديه، فجزاه الله عن الإسلام خيراً»[2].

وبمواقف الإمام الشاطبي من البدع يُعتبر من المجدِّدين الذين يُحْيُون السنة ويذبُّون عنها ويخلصُونها مما عَلَقَ بها في أذهان بعض العامة من الأوشاب، وبدون هذا الجهد لا يتأتَّى إصلاحٌ للمجتمع الإسلامي.

---

(١) «الحديقة المستقلة النضرة» (٣٦).

(٢) «روضة الأعلام» (عند الباب الثالث: في حكم استنباط النحو والاشتغال في نظر الشرع).

أبحاثه مع العلماء:

كان الإمام الشاطبي يفتح مجال الحوار مع كثير من أئمة عصره، فتجري له معهم أبحاث ومراجعات في مشكلات المسائل العلمية، ولاحظ أحمد بابا أنَّ هذه الأبحاث «أجلَتْ عن ظهوره فيها وقوةِ عارضته وإمامته»[1].

ولم ينحصر حوارُهُ مع علماء موطنه غرناطة، بل اتسع لغيرهم ممن كان يكاتبهم.

ومن الذين تباحث معهم أبو العباس أحمد القباب وقاضي الجماعة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالملك الفشتالي[2] المتوفى سنة ٧٧٧هـ، والإمام أبو عبدالله محمد بن عرفة الورغمي التونسي[3] المتوفى سنة ٨٠٣هـ، والولي أبو عبدالله محمد بن عباد الرندي[4] المتوفى سنة ٧٩٢هـ.

وكان التباحث حول هذه المسائل يؤول تارةً إلى التسليم للشاطبي فيما ذهب إليه ويفضي تارةً إلى انتصار بعض العلماء لأحد الرأيين

---

(١) «النيل» (٤٨).

(٢) ترجمته في «جذوة الاقتباس» (١/ ٢٣٤)، «درة الحجال» (٢/ ٢٧٠)، «الدرر الكامنة» (٣/ ٤٢٠)، «سلوة الأنفاس» (٣/ ٢٥٩)، «الشجرة» (٢٣٥)، «النيل» (٢٦٥).

(٣) ترجمته في «البدر الطالع» (٢/ ٢٥٥)، «برنامج المجاري» (١٣٨)، «الحلل السندسية» (١/ ٥٨٩)، «درة الحجال» (٢/ ٢٨٠)، «الضوء اللامع» (٩/ ٢٤٠)، «النيل» (٢٧٤).

(٤) ترجمته في «الشجرة» (٢٣٨)، «النفح» (٥/ ٣٤١)، «النيل» (٢٧٩).

المتعارضين كما سترينا النماذج التي اخترناها من مسائل المناظرة والنقاش.

المسألة الأولى: موضوعها ما يجب على طالب الآخرة النظر فيه والشغل به: وقد جرت المذاكرة بها مع أحد شيوخ المغرب الذي رأى أن ما يشغل في الصلاة لحظة يخرج صاحبه عنه ويتخلى عن ملكه ولو كان باهظ الثمن، كما فعل المتقون من قبل.

فاستشكل الشاطبي قوله، وكتب إليه موضحاً رأيه:

«أما أنه مطلوب بتفريغ السر منه؛ فصحيح، وأما أن تفريغ السر بالخروج عنه واجب؛ فلا أدري ما هذا الوجوب! ولو كان واجباً بإطلاق؛ لوجب على جميع الناس الخروج عن ضياعهم وديارهم وقراهم وأزواجهم وذرياتهم وغير ذلك مما يقع لهم به الشغل في الصلاة، وإلى هذا فقد يكون الخروج عن المال سبباً للشغل في الصلاة أكثر من شغله بالمال، وأيضاً فإذا كان الفقر هو الشاغل فماذا يفعل؟ فإنا نجد كثيراً ممن يحصل له الشغل بسبب الإقلال، ولا سيما إذا كان له عيال لا يجد إلى إغاثتهم سبيلاً، ولا يخلو أكثر الناس عن الشغل بآحاد هذه الأشياء، أفيجب على هؤلاء الخروج عما سبب لهم الشغل في الصلاة؟ هذا ما لا يفهم، وإنما الجاري على الفقه والاجتهاد في العبادة طلبُ مجاهدة الخواطر الشاغلة خاصة، وقد يُنتدب إلى الخروج في العبادة طلب مجاهدة الخواطر الشاغلة خاصة، وقد يُندب إلى الخروج عما شأنه أن يشغله من مال أو غيره إن أمكنه الخروج عنه شرعاً، وكان مما لا يؤثر فيه فقده تأثيراً يؤدِّي إلى مثل ما فرَّ منه أو أعظم، ثم ينظر بعد في حكم الصلاة الواقع فيها الشغل كيف حال

صاحبها من وجوب الإعادة أو استحبابها أو سقوطها؟»[1].

وأفادنا الشاطبي أن صاحب الرأي الأول اقتنع بهذا الاتجاه الذي يُراعى فيه اختلاف أحوال الناس.

المسألة الثانية: دعاء الإمام للجماعة في أدبار الصلوات.

يذهب الشاطبي إلى أن هذا الدعاء ليس في السنة ما يعضده، بل فيها ما ينافيه، إذْ لم يثبت عن الرسول ﷺ إلا الذكرُ المجردُ بعد الصلاة أو الدعاء الذي يخص به نفسه، كقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخَّرتُ»، ولم يدْعُ هو وخلفاؤه الراشدون والسلف الصالحُ للجماعة بعد الصلاة، ثم نصَّ العلماء على أن الإمام ينصرف ولا يقعد في موضع إمامته إذا سلَّم من الصلاة[2].

وقد خالفه في ذلك القاضي أبو الحسن علي بن محمد الجُذَامي المالقي المعروف بالنُّبَاهِي صاحبُ «المرقبة العليا» الذي له بحث في هذه المسألة ينزع فيه إلى الردِّ على الإمام الشاطبي[3].

وخالفه أيضاً الفقيه المفتي أبو سعيد فرج بن لب الغرناطي.

وعمد الفقيه أبو يحيى محمد بن عاصم (فقيد الجهاد سنة ٨١٣) إلى مناصرة شيخه الشاطبي، فألف تأليفاً كبيراً في الرد على شيخه أبي

---

(١) «الموافقات» (١/ ١٦٠).

(٢) «الحديقة المستقلة النضرة» (٣٥).

(٣) «أزهار الرياض» (٢/ ٧)، والنباهي من أعيان مالقة ولد سنة ٧١٣ وكان حياً سنة ٧٩٢، وتوجه إلى فاس سفيراً مرتين.

سعيد، ووُصِفَ تأليفُهُ بكونه «في غاية النبل والإفادة»[1].

المسألة الثالثة: مراعاة الخلاف، وهي مسألة أصولية:

دار النقاش فيها بينه وبين أبي العباس القباب الفاسي من جهة وبينه وبين أبي عبدالله بن عرفة التونسي من جهة أخرى، وذلك بعد أن استشكل الشاطبي اعتبار المتأخرين الخروج عن الخلاف في الأعمال التكليفية مطلوباً وإدخالهم المسائل المختلف فيها في المتشابهات، ولم يشف صدره جواب بعض معاصريه في ذلك؛ لأن الكثير من مسائل الفقه مختلف فيه اختلافاً يعتد به، ولا يمكن عد ذلك من المتشابهات، ولأن الورع يصبح حرجاً إذا اقتضى الخروج عن الخلاف في هذه المسائل الكثيرة.

وفي جواب بعض العلماء إليه أن ما يطالب فيه بمراعاة الخلاف ما كانت دلائل الأقوال فيه متساوية أو متقاربة، وهو قليل، وأن الورع شديد مشق لا يحصله إلا من وفقه الله إلى كثرة استحضار لوازم فعل المنهي عنه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حفت الجنة بالمكاره»[2].

ومما رد به الشاطبي على ذلك؛ أن من بلغ رتبة الاجتهاد يتورع عند تعارض الأدلة لا عند تعارض الأقوال، وهذا خارج عن مراعاة الخلاف، وأما المقلد من العامة؛ فهو لا يتوصل إلى معرفة القول الذي له دليل قويٌّ ولا يعرف تساوي الأدلة أو تقاربها مع أن تساويها أو تقاربها أمر إضافي يقدره المجتهدون بأنظارهم، وقد يختلفون في هذا

---

(١) «شجرة النور» (٢٤٧).

(٢) مضى تخريجه (١/ ١٦٤).

التقدير[1].

ولدينا بعض الإشارات التي تدلنا على أن الإمام الشاطبي كان يتعقب كتب غيره من العلماء وآراءهم، فيحكم على اتجاهها ويبدي وجهَ الصواب والخطأ فيها.

ومن ذلك أن أبا عبدالله بن الأزرق ينقل في كتابه «روضة الأعلام» موقفين للإمام الشاطبي يتجلى في أحدهما رأيه في كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، وفي ثانيهما رأيه في مسألة اللَّحن في الدعاء التي يخالف فيها شيخه أبا سعيد بن لب.

فأما حكمُ الشاطبي على أبي طالب؛ فقد تضمنه قوله الذي نقله ابن الأزرق مع أجوبته: «لأبي طالب آراء خالف فيها العلماء حتى إنه ربما خالف الإجماع في بعض المواضيع، لكن له كلام حسن في الوعظ والتذكير والتحريض على طلب الآخرة، فلذلك إذا احتاج الطلبة إلى كتابه «قوت القلوب» طالعوه متحرزين، وأما العوام فلا يحلُّ لهم مطالعته».

وأما مسألة اللحن في الدعاء؛ فقد أورد فيها ابنُ لب حكاية تدل على أن اللَّحن في ألفاظ الدعاء يجعله غير مستجاب، فعقب الشاطبي معارضاً لذلك، مركزاً على الإخلاص وحُسْنِ قصد الداعي، ونص ما أورده ابن الأزرق في ذلك ما يلي: «قال الأستاذ أبو سعيد بن لب: الدعاء علم لسانيّ وتعلُّق قلبي هما مبناه، وعليهما يدور معناه، ثم ذكر عن الخطابي أن الرياشي قال: مر الأصمعي برجل يقول في دعائه: يا

---

(١) «الموافقات» (١/ ١٦١ وما بعدها).

ذُو الجلا والإكرام، فقال له: ما اسمك؟ قال: ليث. فأنشد يقول:

ينـادي ربَّـهُ بـالـلَّحْـنِ لَيْـثٌ ... لِـذاك إذا دعـاهُ لا يجيـبُ

إلا أن الأستاذ أبا إسحاق الشاطبي ـ رحمه الله ـ تعقب هذا بأن الحكاية شعرية لا فقهية، والاحتجاج بها إلى اللَّعِب أقربُ منه إلى الجدِّ.

قال: وأقرب ما فيه أن أحداً من العلماء لا يشترط في الدعاء ألا يلحن كما يُشترط الإخلاص وصدقُ التوجُّه وعزمُ المسألة وغير ذلك من الشروط»[1].

هذا وقد كان الإمام الشاطبي لا يرى إضاعة العلم بالكلام به مع غير أهله ممن لا يؤهلهم مستواهم لِفَهْمِه وتقديره، وقد وضع لذلك ضابطاً دقيقاً وخط منهجاً يراعيه الخطيب والمدرِّس والعالِمُ، حتى لا تُضاع مسائل العلم وحتى يُؤثَر بها أهلُهَا.

قال الشاطبي في ذلك:

«وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحَّتْ في ميزانها؛ فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤَدِّ ذكرها إلى مفسدة؛ فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها؛ فلك أن تتكلَّم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة

---

(١) «روضة الأعلام» لابن الأزرق.

الشرعية والعقلية»[1].

فتاواه:

أنجبت غرناطة في القرن الثامن طبقة من المفتين يرجع إليهم الناس لمعرفة الأحكام الشرعية فيما ينزل بهم من النوازل وما يطرأ عليهم من القضايا، وكان مترجمنا من ألمع أفراد هذه الطبقة بفتاويه التي دلَّتْ على سعة إلمام بالمنقول وحسن اكتناه لمقاصد الشريعة وأسرارها، وقد تناولت الإجابة عن مسائل من العبادات عرَّف فيها بالمنهج الشرعي الذي ينبغي سلوكه في أداء الشعائر التي تعبَّدَنا الله بها، وتناولت الإجابة عن مسائل من المعاملات الجارية للتعريف بالحلال والحرام وبيان الأوجه المشروعة في العقود، حتى يدرُج الناس عليها.

وكان الشاطبي يتبع منهجاً نبَّهَهُ عليه شيخه أبو سعيد بن لب، وذلك عند ما تنهض في ذِهْنِه إشكالات في مسائل الخلاف بين الإمام مالك وأصحابه، قال ابن لب للشاطبي وبعض أصحابه بعد أن أطلَعَهم على مستنده في إحدى الفتاوى المتعلقة باليمين نَزَعَ بها إلى التيسير على المستفتي، قال: «أردت أن أنبهكم على قاعدة في الفتوى، وهي نافعة جداً ومعلومة منْ سنن العلماء، وهي أنهم ما كانوا يشدّدُون على السائل في الواقع إذا جاء مستفتياً».

قال الشاطبي: «كنت قبل هذا المجلس تترادفُ عليَّ وجوه الإشكالات في أقوال مالك وأصحابه، فلما كان بعد ذلك المجلس

---

(١) «الموافقات» (٥/ ١٧٢).

شرح الله بنور ذلك الكلام صدري، فارتفعت ظلماتِ تلك الإشكالات دفعة واحدة، لله الحمد على ذلك»[1].

وهو يعتمد في فتاويه على المأثور من نصوص الوحي وأقوال أعلام المذهب المالكي، وإذا لم يظفر بشيء من ذلك في المسألة يجتهد بانياً على مراعاة مقاصد الشريعة الإسلامية.

ويتجلّى ذلك في جوابه عما يفعله الناس في زمانه من تزيين الأضاحي وتعليقها بعد ذبحها، فقد قال:

«لا أذكر في هذه المسألة نصاً عن أحد، لكن المقاصد أرواح الأعمال، فمن زيَّنَ أُضحيته وعلَّقها أو لم يعلقها وقصد بذلك المُباهاة والافتخار، فبئس القصد؛ لأن الأضحية عبادة لا تحتمل هذا، وإن لم يقصد إلا ما هو جائز أن يقصد فيها؛ فلا حرج»[2].

ولنعرض بعض فتاويه التي أجاب بها عن أسئلة يتطلعُ المستفتون إلى معرفة حكمها، وهي تدلنا على أمور طارئة وشؤون ناجمة لدى أهل الأندلس، ظهرت في حياتهم وتطلبت أحكاماً.

ففي مجال العبادات:

سئل عن قراءة الحزب بالجمْع؟

فأجاب: بأن مالكاً كره ذلك؛ لأنه لم يكن من عمل الناس، وقال مالك: «لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أوَّلُها. . . أترى

(١) «الإفادات والإنشادات» الإفادة رقم (٧٥).

(٢) «الحديقة المستقلة النضرة» (٣٩).

الناس اليوم أرغب في الخير ممَّنْ مضى؟!».

وعلق الشاطبي على ذلك بقوله: «لو كان في ذلك خير لكان السلف أسبق إليه منَّا، وذلك يدل على أنه ليس داخلاً تحت معنى الحديث: «ما اجتمع قوم...[1] إلخ»».

وسئل: عن تعيين ختم القرآن ليلة معينة من رمضان والدعاء بعده؟

فأجاب بأن ذلك ليس مطلوباً شرعاً، واستشهد بما في «المُدَوَّنة»، وما قال الطرطوشي[2].

وفي موضوع الزكاة سُئل عن الصانع يحتاج في صناعته إلى دراهم لشراء ما يعمل به صناعته فيعود إليه ربح لا يحصر مقداره وينفق منه ويبقى ما تجب فيه الزكاة... وسئل عن اليتيم يكون له نصاب الزكاة؟

فقال عن الأول: «حكمه حكم التَّاجر المدير... يقوِّمُ كل عام ما بيده من السلع، ويضيف القيمة إلى ما بيده من الناضِّ ويُزَكِّي الجميع إن بلغ نصاباً».

وقال عن الثاني: «يجب على الوصي إخراج الزكاة من مال الأيتام

---

(١) يشير إلى ما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «... ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله في من عنده» مضى تخريجه (٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٢) «الحديقة المستقلة النضرة» (٣٥).

إن وجبت فيه الزكاة ويُشْهِدُ على ذلك، فإن كان الوصيُّ مضيعاً في إخراجها؛ وجب على المشرف القيامُ بذلك؛ لأنه سوء نظر في المال فيرفعه إلى الحاكم حتى يخرجها»[1].

وكانت صفة تكبير العيد شغلت بعض الناس في عصره، ووقع الأخذ فيها والرَّد، فأوضح الشاطبي أن التكبير على صوت واحد بدعة ورد على من ذهب إلى أن التكبير على صوت واحد من بدع الخير المعتبرة، مثبتاً أنه لا يراعى إلا الحسن الشرعي، وأن العقل لا يحسن ولا يُقبّح، وأنه لا بدعة في الدنيا يشهد الشرع بحسنها، وأن كل بدعة ضلالة.

وعلى هذا الأساس أنكر أيضاً قراءة سورة الكهف بعد صلاة العصر من يوم الجمعة على صوت واحد، منبهاً إلى أن ذلك لم يكن من عمل السلف وإلى أن مالكاً كره مثله، والطرطوشي أشار إلى أنه من البدع[2].

وفي مجال المعاملات:

سُئِل عن صنع بعض الأندلسيين للتماثيل من الشمع؟

فأفتى بأن الوعيد الوارد في الحديث النبوي إنما يشمل الذين يُصَوِّرون تصويراً كاملاً على حكاية الحيوان بجميع أعضائه الظاهرة، وأما تصوير بعض الأعضاء على الانفراد؛ فليس بداخل تحت الوعيد، مستشهداً ببعض الآثار.

---

(١) المرجع نفسه (٢٠).

(٢) المرجع نفسه.

ولاحظ أنه «يُخشى في استعمال أيدي الشمع أنْ يكون من باب الإسراف المكروه، إن كانت الأيدي ذات قدر ويُخشى في استعمالها من العجين أن يكون من باب اللعب بنعمة الله تعالى والاستخفاف بها، وهو مظنةٌ وعرضةٌ لزوالها إن أُحكمت الأيدي كإحكام الشمع، فإن لم يكن كذلك فالأمر أخفُّ. . .»[1].

وسُئِل عن الوجه الجائز في الشركة في تربية دُودِ الحرير التي تكون مورداً للرزق لدى أهل الأندلس في ذلك العصر؟

فأجاب: بأنها لا تجوز إذا كانت الإجارةُ مما يخرج منه، وتجوز على أوجهٍ أُخرى، منها وجه يشبه ما يفعله الناس في ذلك العهد: وهو أن يُخرج صاحبُ التوت جزءاً من الزريعة كالنصف مثلاً والعاملُ النصف الآخر، ويستأجر صاحب التوت العامل بنصف ورقه بعد نظره وتقليبه على جميع الورق والقيام على علف الدود وإعداد الآلات التي يحتاج إليها حتى ينتهي العمل ويقسمان لوزَ الحرير، على نسبة الزريعة إذا تساوت قيمةُ العمل مع قيمة الورق أو تقاربت[2].

وسئل عن خلط الأحباس والزيادة منها في بعض مرتب المساجد؟

فأجاب: إن كانت الزيادة من بيت المال؛ فلا نظر فيه، وإن كانت من أحباس المساجد؛ فالنظر فيها مبني على النظر في تلك الأحباس، وهي على ثلاثة أنواع:

الأول: المعين منها على منافع بأعيانها لا يصرف في غيرها.

---

(١) المرجع نفسه (١٧).

(٢) المرجع نفسه (٢٠).

الثاني: المجهولة المصروف تصرفُ في منافع المساجد، ولا يخرج عن ذلك.

«وغالب الأحباس المختلطة اليوم كانت على مساجد معينة وافتقر إلى جمعها تحت إشراف ناظر عليه، ثم غفل عنها حتى اشتبهت فصار بالنسبة إلى منافع المساجد كبيت المال ويحمل ما عين من الجملة على كل مسجد على أنه بالاجتهاد في ما كان يحصل له من أحباسه لو تعيَّنت، فجعل له ذلك المقدار في المحاصة، وإذا كان كذلك؛ فلا ينبغي لمن كان إماماً في مسجد له أحباس مختلطة مع أحباس غيره أن يطلب أو يأخذ زيادة على ما عُيِّنَ له في الاجتهاد القديم؛ لأنَّ ما يُزادُ الآن إنما يُزادُ من حِصَّةِ غيره من المساجد، وذلك لا يجوزُ لأنه في معنى نقل الأحباس إلى غير ما حُبِسَتْ عليه، فإنْ لم تكن ثَمَّ زيادة وكان المرتب على ما ثبت في القديم صحَّ، إذ ليس في وسعنا أكثر من ذلك».

الثالث: أن يكون الحبسُ معلوماً أو مجهولاً إلاَّ أنَّ أحد المساجد يُعرفُ أنه ليس له حظ في تلك الأحباس فهذا أولى أن لا يجوز لإمامه أو مؤذنه أو غيرهما أن يأخذ من حبس غيره شيئاً[1].

وسُئِلَ عن مسألةٍ من اللَّوَث قام بها شاهد على معاينة القتل وشاهدان على إقرار القاتل؟

ومما جاء في الجواب قولُهُ: «... إذا حصل القاضي المباشر للقضية ما يَغلُب على ظنه صحة شهادة شاهد القتل مع شاهدي الإقرار

---

(١) المرجع نفسه (٣٣).

من مجرد اجتماعهم أو قرائن احتفت بها من الخارج فذلك اللوث الموجبُ للقسامة والقصاص وإلاَّ فلا، فإنَّ سبب اختلافهم في مسائل اللوث النظرُ إلى كون ذلك الوجه مفيداً لظنٍّ أو لا، وهذا راجع إلى الناظر في القضية، ولذلك يختلف شيوخ المذهب في مسائل لم يقع نظيرها لمالكٍ وأصحابه فيُلحقها قوم بما نصُّوا عليه ولا يلحقُها آخرون، والنازلة المسؤول عنها من ذلك»[1].

وسئل عمن حَلَفَ باللازمة أن لا يسكن موضعاً سماه ما عاش؟

فأفتى بأنه يحنث إن سَكَنَها لحظة في عمره، وذلك حكمه بحسب الظاهر والله يتولَّى السرائر... ويلزمه مقتضى العرف في الحنث باللازمة. وقال للسائل الذي كان من بلدٍ غير بلد الشاطبي:

«الطلاق الثلاثُ لازمٌ عندنا إذ قد صارت في بلدنا عُرفاً ظاهراً، فإن كان موضعُكم كذلك؛ فالثلاثُ لازمة، وإن كان غير ذلك؛ فهو اللازم»[2].

وبذلك يُرَاعي الشاطبي في فتاويه أعراف المستفتين!!

وهناك فَتْوى أخرى تدلُّنا على مراعاته للعُرْف وفيها تصريحه بالدليل الذي بنى عليه فتواه، ورده على اعتراض متوقع، وهي فتواه في نازلة الزوجة التي لم يُقدم لها زوجها نِحْلَةً وجَهَّرَ بيت البناء بشوارٍ كانت تتصرف فيه حتى بَلِيَ، ثم توفي دون إشهادٍ منه بإعطائه شيئاً من الشوار، والسؤال: هل تكون بذلك مالكة له أم لا؟

---

(١) «المعيار» (٢/ ٢٩٢).

(٢) «المعيار» (٤/ ١٤٠ ـ ١٤١).

فقد قال في الجواب: «إذا ثبت أن الشِوَار المذكور كان ملك الزوج ولم يثبت ببينة ولا بإقرار الزوج أنه ملَّكها إياه ولا أنه من جملة صداقها؛ فهو باقٍ على ملكه إلى الموت، فيقع فيه الميراثُ بين الورثة أو في ما بقي منه، ولا حُجة في حوزها لذلك ولا تصرفها فيه تصرف ذي المِلْك في ملكه، لأن ذلك هو العادة في مثله بين الزوجين، ولأن عليه أن يكسُوَها بما تحتاج إليه من غطاء ووطاء وغيرهما، ولا يخرج بذلك عن ملك.

فإن احتج محتج بأن أهل الوثائق قالوا في الثوب يكسوه الرجل زوجه فتلبسه وتمتهنه عاماً أو أقلَّ: إنها قد ملكته، فلا يرجع به عليها عند الطلاق ولا يأخذه منها، فلا حجة فيه على مثل النازلة؛ لأن ذلك إنما قيل في نحو الثوب استحساناً على غير قياس؛ لأن الأصل أن يكسوها فقط، لا أن يملكها الكسوة كما عليه أن يُسكنها وليس عليه أن يُملِّكها المسكن، ولذلك قال التونسي في المسألة: القياس أنه يرجع عليها بالثوب؛ لأنه على ملكه، فإذا قُلنا بأنه يُملِّكه؛ فلم يقولوه إلا فيما كان يسيراً مثل الثوب، أمّا ما عظُم قدره؛ فلا يصح ذلك فيه»[1].

والملاحظ أن الإمام الشاطبي لم يكن يسايِرُ هوى المستفتي بإفتائه بالأقوال الشَّاذَّة، وكان يُعارضُ من ضَلَّ عن سواء السبيل في زمانه مِنَ المفتين الذين يبحثون عن أقوال العلماء في المسألة التي يُسْألون عنها حتى يجدوا قولاً موافقاً للسائل، ولو كان صاحبُهُ شاذًّا عن الجماعة[2].

---

(١) «الحديقة المستقلة النضرة» (٣٤).

(٢) «الاعتصام» (٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩).

ومن أجل هذا الموقف؛ حُمل على التزام الحرج والتنطع في الدين، وهو يؤكد أن هؤلاء الذين ضلوا في منهج الفتوى والذين رموه بالحرج والتنطع يخالفون ما قرره أئمة العلم في أدب الفتوى[1].

وكان الشاطبي يُوصِي بتحرِّي كتب المتقدمين من العلماء المؤلفين، ويراها أجدى من كتب المتأخرين، وله أدلَّةٌ يدعم بها رأيه، ويقول: «صارت كتبُ المتقدمين وكلامُهم وسيرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم على أيّ نوع كان، وخصوصاً علم الشريعة الذي هو العروة الوثقى والوَزَر الأحمى»[2].

وهو يُعَوِّل في فتاويه على كتب المتقدمين ناقلاً عن بعض أصحابه ما يمسُّ من قيمة المتأخرين الذين أوغلت مؤلفاتُهم في الاختصار.

وأوضح التنبكتي أن هذا النقل كان عن أبي العباس القبَّاب الذي اتهم المختصرين بإفساد الفقه[3].

وكما كان الشاطبي مفتياً يوضح أحكام الشريعة التي يجب اتباعُها فقد كان مرشداً يهدي النفوس الحائرة إلى ما يُقوّيها على العبادة ويجنبها بعض العوارض، ومن ذلك أنه أرشد من كان ينتابُهُ الوسواسُ عند أداء العبادة إلى الاقتداء في الصلاة بإمام يرضى دينه ولا تعتريه الوسوسة، وعدم مخالفته، مع المواظبة على الدعاء التالي: «اللَّهُم اجعل لي نفساً مطمئنَّةً، تؤمن بلقائك وتقنع بعطائك، وترضى

---

(١) «الاعتصام» (١/ ١١ ـ ١٢).

(٢) «الموافقات» (١/ ١٥٣).

(٣) «النيل» (٥٠)، و«الموافقات» (١/ ١٤٨) وتعليقنا عليه.

بقضائك، وتخشاك حقَّ خشيتك، ولا حول ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العليِّ العظيم»[1].

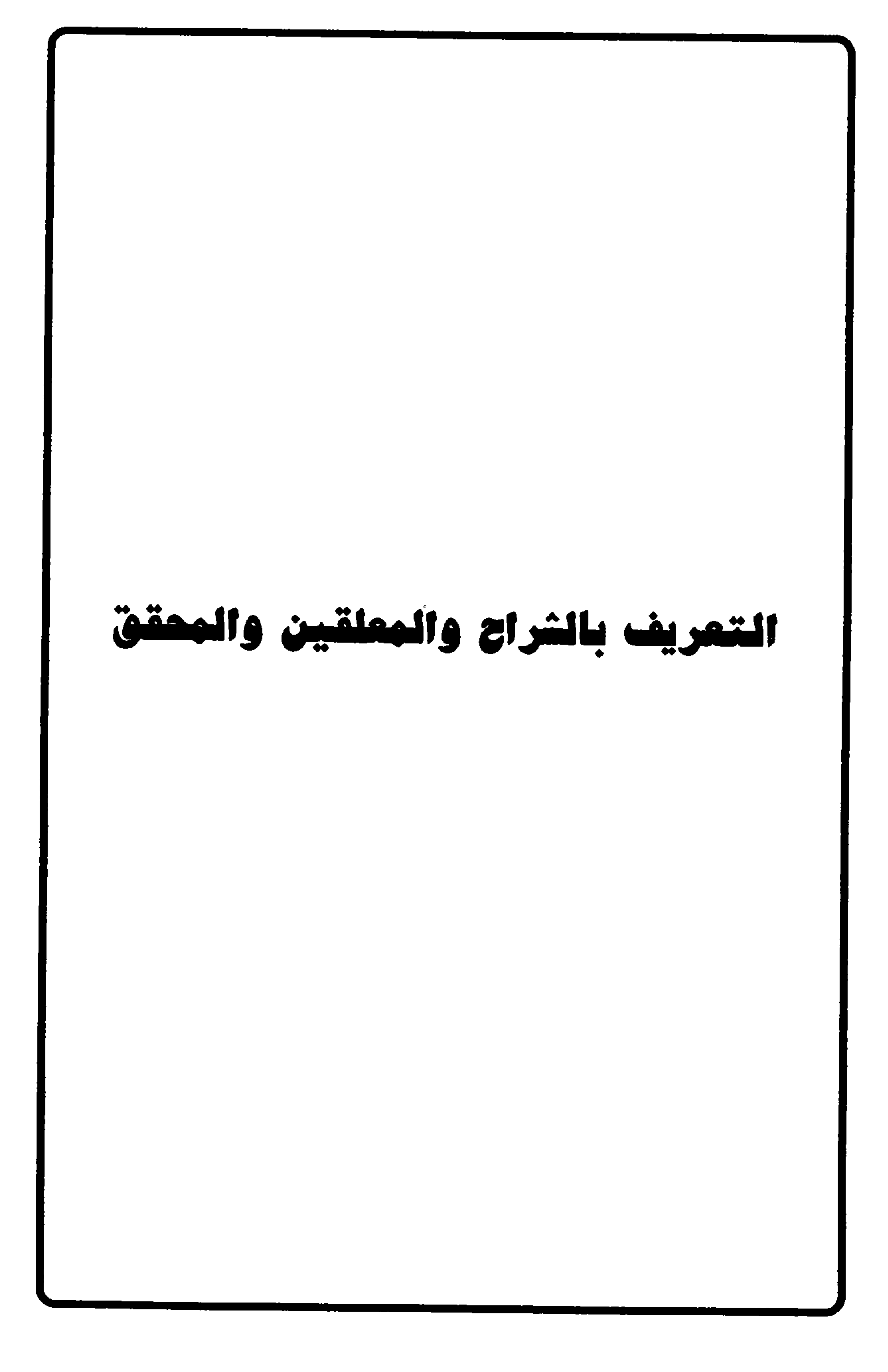
هذا أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي أحد مُجدِّدي عصره في الأندلس، وأحد الأعلام الذين تفتخر بهم حضارتنا الإسلامية وثقافتُنا العربية، لتفانيه في خدمة العربية والشريعة، وريادته في مجال إبراز المقاصد الدينية.

* * *

---

(١) «النيل» (٥٠).





التعريف بالشراح والمعلقين والمحقق

ترجمة الشيخ
عبد الله دِراز[1]

ولد الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن حسنين دراز بمحلة دياي (من أعمال مركز دسوق على الفرع الغربي للنيل) في ١٢ يناير سنة ١٨٧٤م، وبعد أن حفظ القرآن لازم دروس اللغة العربية وعلوم الشريعة التي كان يلقيها بالمسجد العمري في البلدة نفسها، والده الشيخ محمد، وعمه الشيخ أحمد، وجده الشيخ حسنين دِرَاز، وغيرهم، والتي كان يؤمها الطلاب من البلدة ومن أطراف البلاد المجاورة على طبقات متفاوتة بين مبتدئين ومتوسطين ومنتهين، وكانوا يتلقونها في مواعيد منظمة تتخللها أجازات دورية، وكانت تعار لهم بعض الكتب العلمية التي وقفها جده الشيخ حسنين على أولاده وذريته.

وكان رحمه الله أكثر انتفاعاً بدروس جده وأطول ملازمة له؛ لأن والده وعمه توفيا في حياة والدهما. فلما توفي جده؛ قصد إلى القاهرة فأكمل دراسته في الأزهر، وكان من شيوخه الأزهريين في التفسير

---

(١) ترجمته مأخوذة من «الفتح المبين في طبقات الأصوليين» (٣/ ١٧٣ وما بعدها)، بتصرف.

الشيخ محمد عبده، وفي الحديث الشيخ سليم البشري، وفي التوحيد الشيخ محمد بخيت، وفي الفقه الشيخ أحمد الرخامي، وفي أصول الفقه الشيخ محمد أبو الفضل، وفي المنطق والحكمة والحساب والجبر الشيخ محمد البحيري، وكان ممن اقتبس عنهم الإنشاء والأدب الشيخ أحمد مفتاح الأديب المشهور، من أساتذة دار العلوم إذ ذاك، وكان من أساتذته في الرياضة محمد بك إدريس، وفي تقويم البلدان (الجغرافيا) إسماعيل بك علي وحسن صبري باشا، وفي ذلك العهد لم تكن قد وضعت بعد خرائط جغرافية باللغة العربية فتعلم رحمه الله اللغة الانجليزية ليدرس بها المصورات الجغرافية ويطبق عليها معلوماته بدقة.

وقد ظهر نبوغه بصفة ممتازة في هذا العلم، فما أن حصل على شهادته العالمية في صيف سنة ١٩٠٠م وعلى شهادة الرياضة عقبها حتى أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا في الأزهر في أول سنة ١٩٠١ إلى جانب دروسه في المواد الأزهرية الأساسية التي كان يؤمها الجم الغفير من الطلاب في مسجد محمد بك أبي الذهب حتى كان يغص المسجد بطلابه الحريصين على الاستفادة من علمه وأدبه ومنهجه التعليمي المبتكر.

وكان له منذ نشأته شغف بالشعر والأدب، وله مساجلات معروفة في الأندية الأدبية، وله شعر جيد يجمع إلى رقة الخيال وسلاسة الأسلوب وجزالة اللفظ وغزارة المادة اللغوية، من ذلك قصيدته التي أنشدها بين يدي أستاذه البحيري عند ختم كتاب «السعد» في البلاغة سنة ١٨٩٨ أي قبل تخرجه بعامين ومطلعها:

يهيم وحراس الخدود تدافعه ويخفي وقد نمت عليه مدامعه
وما كان يهوى بل يعنف ذا الهوى نعم كان يهواه الوغى ومعامعه

ومنها:

وعهدي به ثبت الجنان شموسه يبيت ومصقول السيوف يضاجعه
فما باله حتى استكان مذلة وأمسى وغيداء الظباء تصارعه

ومنها:

خذوا أيها الغزلان عني جانباً برئت من التشبيب من ذا يطاوعه
وبوأت نفسي للمكرام والعلا وكلفتها مرقى تعز مطالعه

ومنها:

وقد سألتني ذات يوم فما الذي تريد وما القصد الذي أنت تابعه
فقلت لها شيخاً تفرد في العلا وفي العلم حتى عز في الناس شافعه

ومنها:

لأنت فؤادي بل أعز وكيف لا وطالع سعدي في يديك أطالعه

ولما أنشىء معهد الإسكندرية الديني النظامي في يناير سنة ١٩٠٥ وعين الشيخ محمد شاكر الجرجاوي شيخاً له، اختير الشيخ عبدالله دراز في أربعة من أفاضل العلماء، وهم المشايخ عبدالمجيد الشاذلي، وعبد الهادي مخلوف، وإبراهيم الجبالي، ليكونوا النواة الأولى في هذا المعهد الناشىء، وكان يوم فراق الشيخ دراز لأبنائه الأزهريين عند عزمه على السفر إلى الإسكندرية يوماً مشهوداً سكبت فيه دموع الوداع حارة

غزاراً. ولم يكن نصيبه منها بأقل من نصيب أبنائه مما يدل على عمق الصلة الروحية المتبادلة بين الشيخ وتلاميذه... وحين استقر به المقام في المعهد الجديد توسم فيه الشيخ شاكر مواهب إدارية بارزة إلى جانب كفايته العلمية فاتخذه عضده الأيمن في إرساء مناهج الدراسة واختيار الكتب والإشراف على سير التعليم ووضع أسئلة الامتحان وفي ٢٠ يناير سنة ١٩٠٧ عينه مفتشاً للمعهد إلى جانب دروسه الأزهرية والرياضية التي كان يلقيها للفرقة العليا في المعهد إذ ذاك، «وهي طبقة التصريح والسعد»، وإلى جانب اشتغاله بتأليف الكتب النافعة للطلاب في السيرة النبوية وتقويم البلدان وغير ذلك.

ثم اتجهت رغبة أولي الأمر إلى إعادة هذه التجربة الناجحة، ونقل صورة من هذا النظام الذي جرب في معهد الإسكندرية إلى الجامع الأحمدي بطنطا، ورأى الخديوي عباس الثاني أن يقوم الشيخ عبد الله دراز بهذا العبء. فعينه وكيلاً لمشيخة الجامع الأحمدي في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٨م، وقد حقق الشيخ ما علق عليه من الآمال فما لبث أن عادل بين العلوم الأزهرية والعلوم المدرسية حتى لا يبغي بعضها على بعض، وقد اغتبط الجناب العالي الخديوي بهذا الفتح المبين الذي تم على يد الشيخ دراز، فقلده الوسام العثماني تقديراً لجهوده الصادقة الموفقة، والذي يلفت النظر بوجه خاص أنه على الرغم من اتساع مجال الإصلاح أمامه وثقل العبء الإداري في معهد لا عهد له بالنظام؛ لم ينصرف عن مزاولة العلم والتعليم بنفسه، فكان يشتغل بتفسير القرآن الكريم لطلبة القسم العالي، وفي الوقت نفسه يضع المؤلفات المبتكرة في العلوم الجديدة؛ كـ «تاريخ أدب اللغة العربية»، وغيره.

وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٢ عين وكيلاً لمعهد الاسكندرية عوداً على بدء. وهنا أيضاً لم يشغله توجيه دفة الأعمال الإدارية والإشراف الجدي على سير التعليم عن الإفادة العلمية الحقيقية.

وقد اتخذت إفادته العلمية هنا صورة أرقى من سابقتها، فكان يجمع العلماء المدرسين ومحبي العلم من غيرهم فأفاضل الأطباء لمدارسة القرآن الكريم والسنة النبوية، ووقع اختياره من كتب السنة على «الشفاء» للقاضي عياض، وكتاب «مشكاة المصابيح»، وكتاب «تيسير الوصول»؛ فأتمها كلها في عدة سنين.

وفي ٢٦ أغسطس ١٩٢٤ عين شيخاً لمعهد دمياط، فوضع في تنظيمه طرفاً مما وضعه في تنظيم الجامع الأحمدي، وهناك أيضاً تابع السير على هذه السنة الحميدة الجامعة بين الإدارة الحازمة والإفادة العلمية، فكان تجمع العلماء لدراسة السنة النبوية والكتب الدينية وقد وجه عناية خاصة لكتاب «الموافقات في أصول الفقه» للشاطبي، وبعد أن قرأه مراراً وضع عليه مقدمة وشرحاً، وأخرجه للناس في هذه الحلة الجديدة التي نراها اليوم. هذه بعض آثار الفقيد من الوجهة العلمية، أما ثمرات قلمه في إصلاح التعليم وإدارة المعاهد؛ فلا تتسع لبيانها العجالة ونكتفي بأن نحيل القارىء على قماطر إدارات المعاهد، فهي تنبىء بتقاريره وتعليماته في كل مرحلة من مراحل عمله.

وبالجملة، فقد صرف أوقاته في خدمة العلم إفادة واستفادة، وكانت أيامه كلها خيراً وبركة على العلم ومعاهده حتى إنه بعد أن اعتزل الأعمال الإدارية في ١٣ يونيو ١٩٣١ لم يفتر عزمه عن متابعة الإفادة العلمية من طريق الكتابة والتعقيب على المؤلفات الدينية

الحديثة. وكان لكتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» الذي عملته وزارة الأوقاف وكتاب «محمد المثل الكامل» لجاد المولى بك حظ من هذا الجهد المبارك، فأعيد طبعهما مصححين منقحين وفقاً لإرشاداته الحكيمة كما تدل عليه مقدمة الطبعة الثانية لهذين الكتابين.

والناظر في كتابات الشيخ قديمها وحديثها يروقه منها دائماً ديباجة أسلوبه الأدبي الذي نشأ عليه والذي يبدو طابعه في كل ما خطه قلمه في العلم أو الأدب أو الاجتماع أو السياسة أو غيرها، كما أن الذين كان لهم الحظوة بمجالسته ومعاشرته يذكرون دائماً ما كان لأسلوبه الوضعي والقصصي من جاذبية روحية عجيبة تتعانق فيها طلاوة اللغة بحسن الأداء في صوت ندي هادىء لا تصنع فيه ولا ترفع، وقد كان رحمه الله كثير الاطلاع على التاريخ وأحوال العصر، جيد الحافظة، قلما يغيب عن ذاكرته حادث عالمي أو محلي مر به مهما طال عهده، فإذا سرده على السامعين؛ سرده في ترتيل يسترعي الأسماع والقلوب.

كان رحمه الله وئيد المشية في رزانة تحوطها المهابة، باسم الوجه، في جد ووقار، أسمر اللون، ربعة متوسط السمن، حسن البزة، نفيس الثياب، وكان يحب التروض ساعة في كل يوم سيراً على القدم.

وكان قليل السهر ينام مبكراً ويستيقظ سحراً، فيقوم من آخر الليل ما تيسر ثم يضطجع قليلاً بعد صلاة الصبح.

وكان في فترة اشتغاله بشئون المعاهد يختم القرآن في كل شهر مرة على الأقل، فلما اعتزل الخدمة؛ كان يملأ به كل أوقات فراغه، كما كان يفعل في رمضان دائماً، وكان يحب في كل مناسبة أن يجمع

إخوانه على طعام ولا سيما طعام الغذاء؛ لأنه كان لا يتعشى إلا نادراً خفيفاً ولم يتعود منبهاً ولا مسكناً ولا ملهاة قط.

وكان أصحابه وزواره يعرفون ميعاد نومه المبكر، فيستأذنون في الانصراف من المجلس أحب ما يكون السمر إليهم، فلا يلح عليهم في المكث؛ لأنه - رحمه الله - كان لا يعرف المواربة ولا الملق قط، وكانت صرامته في الحق مع فرط دماثة خلقه وغلبة صمته من الأسباب التي مكنت له في قلوب الخلق مزيجاً من المهابة والمحبة.

ثم كانت خاتمة أعماله أداء فريضة الحج المبرور، في أوائل سنة ١٩٣٢، ولم يلبث إلا قليلاً عقب عودته من الحجاز حتى ألم به المرض الأخير، وهو أتم ما يكون صحة وقوة، فمات - رحمه الله - في ليلة الخميس ٢٣ يونيو سنة ١٩٣٢، وصلي عليه في الجامع الأزهر، ودفن بمدافن الأسرة بقرافة العفيفي بقرب العباسية، ورثاه الشعراء وبكاه كل من اغترف من علمه أو ذاق حلاوة عشرته أو لمس صلابة دينه وصفاء سريرته وأكبر فيه عزة نفسه وعلو كرامته أو ناله بره من قريب أو بعيد.

طيب الله ثراه وأسكنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

* * *



ترجمة الشيخ
محمد عبد الله دِراز[1]

ولد الشيخ محمد في بيت علم وخُلُق وورع، سنة ١٨٩٤م، وسرعان ما تفتحت عيناه على زملاء أبيه يغشون منزله لدراسة كتب العلم، والحديث في مسائل الإصلاح الديني، وكان والده يأخذ منزله بآداب التقوى، يؤم أهله في صلاتي الفجر والعشاء، ويقرأ «صحيح البخاري» في ليالي رمضان، ويسهر على تثقيف أبنائه ويعوّدهم على سنن الخير، وطبيعي أن يلتحق محمد بالأزهر بعد أن حفظ كتاب الله، واستظهر بعض المتون العلمية الذائعة في وقته، وظهرت دلائل نبوغه، إذ كان متقدماً في امتحاناته السنوية حتى نال الشهادة العالمية سنة ١٩١٦م، وعُيِّن مدرساً بالأزهر، ولم تشغله أعباء التدريس عن تعلم اللغة الفرنسية، حيث حذقها في ثلاث سنوات.

وشارك الشيخ محمد في ثورة سنة ١٩١٩م، فأسهم الشيخ الشاب في كتابة المنشورات باللغة الفرنسية، وكان يطوف بها كل السفارات،

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٢٤٦)، و«النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٥٦).

وكان يكتب في جريدة «الفان» الفرنسية، ملخصاً ما يدور بالجامع الأزهر من خطب السياسة، كما أشار عليه ابن عمه الشيخ محمد عبداللطيف دِراز ـ وهو يومئذ من رجال الثورة البارزين في القاهرة.

ثم لما هدأت الثورة؛ استأنف التدريس بالأزهر، وحينها أشرف على طبع كتاب «الموافقات» للعلامة الشاطبي بشرح والده رحمه الله، واختير أستاذاً في كليات الأزهر بكلية أصول الدين، وشاع فضله وعلمه، فرشّحته مواهبه لعضوية البعثة الأزهرية إلى فرنسا سنة ١٩٣٦م بجامعة السوربون، وانتدب الشيخ محمد ممثلاً للأزهر في سنة ١٩٣٩م إذ عقد مؤتمر الأديان بباريس، وحين ألقى كلمته؛ أجمع المعقبون أن كلية مندوب الأزهر تُعدُّ الكلية الرئيسة في المؤتمر، وشاء الله أن تكون آخر محاضرة له في مؤتمر مماثل، هو (المؤتمر الإسلامي الدولي) المنعقد بلاهور في يناير سنة ١٩٥٧م، حيث أعد بحثاً قيّماً بعنوان «موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها»، وهو بحث شاء الله أن يلقيه سواه، إذ مات الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ أثناء انعقاد المؤتمر سنة ١٩٥٧م.

مؤلفاته:

للشيخ محمد عبدالله دِراز كتب قليلة، ولكنها منهجية متفردة، فكان ـ رحمه الله ـ لا يكتب غير الجديد الطريف، وكان لا يؤلف في غير المجهول الذي تتطلع الأنظار إلى كل كلمة من كلماته، فمن كتبه:

- «دستور الأخلاق في الإسلام».
- «المدخل إلى القرآن الكريم».

- «الدين - دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام».

- «النبأ العظيم».

وجُمِعَت بعضُ محاضراتِ الشيخِ ومقالاته في كتابٍ مطبوع بعنوان «دراسات إسلامية»، وفيه بحوث شافية عن القرآن الكريم، والإسلام والرق، وكرامة الفرد في الإسلام، والمسؤولية في الإسلام، ومبادىء الأخلاق نظرية وعملية، ومبادىء القانون الدولي في الإسلام، والربا في نظر القانون الإسلامي، وإصلاحات الشيخ محمد عبده، وهذه البحوث نشرت في أمهات المجلات الإسلامية بمصر، وفي «مجلة الأزهر» له بحوث ماتعة لم تجمع بعد، من أهمها: بحثه الرائع عن تاريخ الأزهر، ونقده لاقتراح ترتيب المصحف حسب النزول، وغيرهما.

* * *

ترجمة الشيخ
محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي(١)

نبت في أرومة عريقة في الحسب والنسب ببني عدي إحدى قرى مركز منفلوط بمديرية أسيوط، فقد ولد في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٧٧هـ، وكان والده العلامة الشيخ حسنين محمد علي مخلوف من كبار علماء الأزهر، أقام به سنين ثم عاد إلى بلده يعلم أهلها الفقه والدين وعلوم القرآن، وجده لأمه العلامة التقي الشيخ محمد خضاري أحد أعلام الأزهر في مستهل القرن الثالث عشر.

أتم المترجمُ حفظ القرآن الكريم بعد وفاة والده، وحفظ المتون وتلقى مبادىء العلوم على الأستاذ الجليل الشيخ حسن الهواري، ثم رحل إلى الأزهر فجد واجتهد في تلقي العلوم الأزهرية المعروفة، وسمت همته إلى كثير من العلوم غير المقررة بالأزهر؛ كالحساب والجبر والمساحة والهيئة والفلسفة، فتلقى أكثرها على شيخيه الجليلين

---

(١) ترجمته في «الفتح المبين في طبقات الأصوليين» (١٨٨/٣ ـ ١٩١)، ومجلة «الفتح» (عدد ١٧/ المحرم/ ١٣٥٥هـ»، و«معجم الشيوخ» (١/ ٩٤)، و«الأعلام الشرقية» (١/ ٣٧٦)، و«جامع التصانيف الحديثة» (٢/ ٣٦)، و«معجم المطبوعات الغربية» (١٦٤٨)، و«الأعلام» (٦/ ٩٦).

الشيخ حسن الطويل والشيخ أحمد أبي خطوة، وقرأها لإخوانه وتلاميذه بالأزهر ومسجد محمد بك أبي الذهب، ومما قرأه فيها «رسالة بهاء الدين العاملي» التي كتب عليها «حاشية» طبعت إذ ذاك، واستفاد منها الطلاب، وكتاب «الجغميني في الهيئة»، و«رسائل الربع المقنطر والمجيب والإسطرلاب»، و«الطوالع» للبيضاوي، و«المواقف» للعضد و«الإرشادات» لابن سينا، وكان كثير الشغف بهذه العلوم وله فيها دروس وتلاميذ عديدون منهم: الأعلام الشيخ محمد مصطفى المراغي، والسيد محمد عاشور الصدفي، والشيخ عبدالفتاح المكاوي، والشيخ عبدالله دراز، والشيخ فرغلي الريدي، والشيخ عبدالهادي مخلوف، والشيخ علي إدريس العدوي، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ محمد زيد بك الأبياني، والشيخ عبدالرزاق القاضي بك، والشيخ محمد عز العرب بك، وكثير غيرهم ممن لا نحصيهم عداً.

ومن أجل شيوخه بالأزهر: المشايخ الطيول، وأبو خطوة، وأحمد الرفاعي الفيومي المالكي، ومحمد خاطر العدوي، وحسن داود العدوي، ومحمد عنتر المطيعي، وعرفة، والبحيري، والمغربي رحمهم الله أجمعين.

وفي ساحته بدير السعادة من أعمال فرشوط ألف المترجم كثيراً من رسائله في التوحيد والتصوف والفلسفة، وقد نال شهادة العالمية من الدرجة الأولى في ٥ شعبان سنة ١٣٠٥ في أول امتحان أجراه الشمس الأنبابي شيخ الجامع الأزهر إثر توليه المشيخة.

وفي أول فبراير سنة ١٨٩٧ تقرر إنشاء مكتبة أزهرية فعين أميناً لها، وعني بأمرها كثيراً حتى تم إنشاؤها على نظام بديع، وكانت الصلة

وثيقة بينه وبين الأستاذ الشيخ محمد عبده، فكان عضده الأقوى من الأزهريين في مشروعاته وإصلاحاته الأزهرية.

ولما اتجهت العناية إلى إصلاح الأزهر وتعديل قوانينه القديمة عين المترجم عضواً بمجلس إدارة الأزهر، وكان العضو العامل الخبير في اللجان التي ألفتها الحكومة لوضع قانون الأزهر رقم ١ لسنة ١٩٠٨، ثم القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١، وكان ـ رحمه الله ـ أول من اختير عضواً في هيئة كبار العلماء بعد صدور هذا القانون، وعين مفتشاً أول للأزهر والمعاهد الدينية، ولم يكن للأزهر عهد بهذه الوظيفة من قبل، فأخذ ينفذ الإصلاحات والنظم التي سنها القانون الحديث في الأزهر ومعاهد طنطا ودسوق ودمياط، ثم عين شيخاً للجامع الأحمدي، فاقترح إنشاء معهد على النظام الحديث، وتم ذلك، فوضع أساسه في ١١ فبراير سنة ١٩١١، وهو أول معهد عرفته المعاهد الدينية يدرس فيه الطلاب في فصول وعلى مقاعد وبنظام مدرسي جامع بين القديم والحديث. وارتقى المعهد الأحمدي في عهده ارتقاء ضارع به الأزهر، بل فاقه كثيراً، ثم عين مديراً للأزهر والمعاهد الدينية في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٣، ولم يكن لهذه الوظيفة وجود في الأزهر من قبل، فقام بتنفيذ قانون المعاهد وبالإصلاح الهام فيها، واتجه في ذلك إلى ترقية التعليم بالوسائل الصحيحة، فلقي من الأزهريين مقاومة عنيفة، ودس له ذوو الأغراض كثيراً من الدسائس، فاعتزل الوظائف الإدارية في عهد السلطان حسين كامل في سنة ١٩١٦.

عاد بعد اعتزاله المناصب سيرته الأولى في الدراسة والتأليف فعكف عليهما عكوفاً منقطع النظير، وكانت دروسه بعد الغروب غاصة

بالعلماء ومتقدمي الطلاب، وقد عني كثيراً بتدريس أصول الفقه، فقرأ «جمع الجوامع» مرتين في أربعة عشر عاماً، وكتب عليه حاشية كبيرة قيمة تبلغ مجلدين، وألف كتاباً قيماً سماه «بلوغ السول في مدخل علم الأصول» اشتمل على عدة مباحث هامة، وأهمها مباحث الاجتهاد والتقليد وحجية القياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وأوضح فيه المنهج الأصولي والفقهي والخلافي في استنباط الأحكام الشرعية، وكان تفسير البيضاوي آخر كتاب يُدرِّسه للطلاب.

كان طوال عهده معروفاً بعلو النفس وبعد الهمة والجود والسخاء وصدق الوفاء ومساعدة البائسين والفقراء، وكان أبياً لا يعرف الضراعة والخنوع، وقوراً حسن الحديث يترفع عن الغيبة وذكر المثالب والتسمع إليها، ويدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق، وكان كثير التعبد وتلاوة القرآن الكريم تلاوة تدبر وإمعان.

ومن مؤلفاته «حاشية على رسالة بهاء الدين العاملي في الحساب» مطبوعة، وحاشية كبيرة قيمة على جمع الجوامع في الأصول في جزأين مطبوعة، وكتاب «بلوغ السول في مدخل علم الأصول» اشتمل على عدة مباحث أهمها: مباحث الاجتهاد والتقليد وحجية القياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وأوضح فيه المنهج الأصولي في استنباط الأحكام الشرعية مطبوع، و«المدخل المنير في مقدمة علم التفسير» مطبوع، و«القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق» مطبوع، و«رسالة في حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية» مطبوعة، و«عنوان البيان في علوم التبيان» مطبوعة، وغيرها كثير كما تراه في «الأعلام الشرقية» (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩).

ترجمة الشيخ
محمد الخضر حسين[1]

هو العالم الشيخ محمد الخضر حسين بن علي بن عمر الفقيه المالكي الأصولي اللغوي الأديب الكاتب، ولد ببلاد تونس وحفظ القرآن في سن مبكرة، وأحاط بالمتون في صغره على عادة نوابغ أهل المغرب، وطلب العلم بجامع الزيتونة وتخرج سنة ١٣١٦هـ، حيث حصل على شهادة العالمية، ثم عين قاضياً شرعياً مالكياً بتونس، ثم مدرساً بجامع الزيتونة، ورأى في سنة ١٩١٢م أن يهاجر إلى الشام، فهاجر إليها لخدمة الإسلام، وعين مدرساً بالمدرسة السلطانية، ثم رحل إلى القسطنطينية سنة ١٩١٧م فعين محرراً بالقلم العربي بوزارة الدفاع العثمانية، وبعد انتهاء الحرب العظمى جاء إلى مصر سنة

---

(١) مترجم في «الفتح المبين» (٣/ ٢١٣)، ومجلة «الفتح» (١٧/ ذو القعدة/ سنة ١٣٥٠هـ)، ومجلة «الهداية الإسلامية» (جمادى الآخرة، سنة ١٣٥٥هـ)، ومجلة «الأزهر» (شعبان سنة ١٣٧٧هـ)، ومجلة «المجمع العلمي العربي» (١٨/ ٨١)، و«معجم المطبوعات العربية» (١٦٥٢)، و«الأزهر في ألف عام» (١/ ١٦٥، ١٩٥)، و«الأعلام» (٦/ ١١٣ ـ ١١٤)، و«النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» (١/ ٥١ ـ ٦٦).

١٩١٩م فعين بدار الكتب الملكية مصححاً بالقسم الأدبي، وكان في كل ما وليه من أعمال مثال الكفاءة النادرة والنبوغ الفذ والمقدرة الفائقة حتى تسامع به أولياء الأمور في الأزهر الشريف وملأ حديثه مجالس العلماء والطلبة، فرأت مشيخة الأزهر أن تفيد منه طلاب التخصص، فندبته للتدريس بقسم التخصص بعد أن نال شهادة العالمية الأزهرية في سنة ١٩٢٦م تقديراً لفضله وعرفاناً لقدره.

ثم اختير رئيساً لتحرير مجلة «نور الإسلام» وكانت لسان حال الأزهر يومئذ، فاضطلع بهذا العبء بضع سنين بمقدرة وجدارة، ثم عين مدرساً بكلية أصول الدين سنة ١٩٣١م، فتخرج به كثير من العلماء الذين لا يحصون كثرة، وقد عرفت وزارة المعارف مكانته العلمية، فعينته عضواً بمجمع فؤاد الأول للغة العربية، وإذا كان قد اعتزل مجلة «نور الإسلام» التي صارت بعد ذلك مجلة «الأزهر» واعتزل التدريس بكلية أصول الدين لبلوغه سن التقاعد، وأنشأ بعد ذلك «جمعية الهداية الإسلامية» وتولى رئاستها ومدير مجلتها، كما تولى رئاسة تحرير مجلة «لواء الإسلام».

ثم كان من هيئة كبار العلماء، وعين شيخاً للأزهر أواخر سنة ١٣٧١هـ، واستقال سنة ١٣٧٣هـ، وتوفي بالقاهرة في ١٣ رجب سنة ١٣٧٧هـ، ودفن بوصية منه في تربة صديقه أحمد تيمور باشا، وكان هادىء الطبع وقوراً، خص قسماً كبيراً من وقته لمقاومة الاستعمار، وانتخب رئيساً لجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا.

المترجم له مؤلفات تدل على طول باعه ورسوخ قدمه في علوم الدين والاجتماع واللغة، منها:

- «الدعوة إلى الإصلاح» عالج فيه كثيراً من الشئون الاجتماعية والخلقية، وهو مطبوع.

- «القياس في اللغة العربية» وهو موضوع من الموضوعات التي عني بها مجمع فؤاد الأول للغة العربية.

- «نقد كتاب الشعر الجاهلي» وهو مؤلف قيم رد فيه على طه حسين في كتاب «الشعر الجاهلي»، وقد كان لهذا النقد وقع عظيم في الأوساط العلمية والدينية، وهو مطبوع.

- «حياة اللغة العربية»، مطبوع.

- «الخيال في الشعر العربي»، مطبوع.

- «مناهج الشرف»، مطبوع.

- «الدعوة إلى الإصلاح»، مطبوع.

- «طائفة القاديانية»، مطبوع.

- «مدارك الشريعة الإسلامية»، مطبوع.

- «الحرية الإسلامية»، مطبوع، وهو عبارة عن محاضرة له.

- «خواطر الحياة»، مطبوع.

- «بلاغة القرآن»، مطبوع.

- «محمد رسول الله»، مطبوع.

- «السعادة العظمى»، مطبوع.

- «من أدب الرحلات»، مطبوع.

- «تونس وجامع الزيتونة»، مطبوع.

- «نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم»، الذي ألفه علي عبدالرزاق، وهو مطبوع.

- «تعليقات على كتاب الموافقات» للشاطبي في الأصول، وهي مطبوعة.

- «تعليقات على شرح الإبريزي للقصائد العشر»، وهذه التعليقات تدل على تبحره في اللغة العربية، وهو مطبوع.

* * *

ترجمة الشيخ
ماء العينين[1]

أبو محمد مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مامَيْن الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، الملقب بماء العينين، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط.

مولده ببلدة الحوض سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م، ووفاته في تزنيت من مدن السوس الأقصى. وفد على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج وحظي عندهم.

وكان مع اشتغاله بالحديث واللغة والسير، له معرفة بما يسمى «علم خواص الأسماء والجداول والدوائر والأوقاف وسر الحرف»، وقصده الناس لهذا!!

قال صاحب «معجم الشيوخ»: «وأخباره في العلم والطريق

---

(١) ترجمته في «الوسيط في أخبار شنقيط» (٣٦٠)، و«معجم الشيوخ» (٢/ ٣٧)، و«المعسول» (٤/ ٨٣ ـ ١٠١)، و«معجم المطبوعات العربية» (١٦٠١)، و«الأعلام» (٧/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، ومجلة «صحراء المغرب» (عدد ٢٤ محرم/ سنة ١٣٧٨هـ)، وفيها بحث مستفيض في نسبه وطريقته وأبنائه وسيرته.

والسياسة واسعة تحتاج إلى مؤلف خاص».

يستفاد مما كتب عنه؛ أنه كانت له مواقف ووقائع في مقاومة الاستعمارين الفرنسي والإسباني في المغرب، وأن الشعب المغربي أسند إليه في العام الأخير من حياته قيادة الجهاد، واجتمع لديه جيش من تلاميذه ومن رجاله ومن قبائل الرقيبات وأولاد دليم وأولاد أبي السباع والنكنة والشلوح وسائر قبائل السوس، وزحف نحو فاس (العاصمة يومئذ) لإنقاذها، وكادت ثورته تعم المغرب كله لولا أن حشد له الفرنسيون قواهم، وتغلبوا عليه، ومرض فعاد إلى مدينة تزنيت الواقعة على ٩٥ كيلو متراً من جنوب أغادير، و ٦٠ من إفنى، فتوفي ودفن بها، وذلك في سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٠م.

قال في «المعسول»: «لما تمكن المولى عبدالحفيظ، ودخل فاساً، سافر الشيخ ماء العينين، من تزنيت إلى فاس، محاذياً سفح الأطلس، لأنه لا يأمن في السهول، فأرسل الفرنسيون المحتلون للدار البيضاء وما يليها إلى الملك بفاس، ينذرونه بأنهم يعدون كل من مد يده (بالمعونة) إلى ماء العينين عدواً لهم، فأوعز الملك إلى عبدالله بن يعيش بأن يتلقى الشيخ في الطريق، برسالة من الملك، ليرجع عن فاس، ثم لما وصل الشيخ إلى تادلة، أراد الفرنسيون أن يتسربوا إليه ليلاً، ليستحوذوا عليه وحفظه الله منهم، فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة والفرنسيين، اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور ورجع الشيخ متوغلاً الأطلس، فطلع من آيت عتاب إلى أن نزل على رأس الوادي في سوس، فحط رحله في تزنيت، حيث لفظ نفسه الأخير وشيكاً».

له كتب كثيرة، منها:

ـ «شرح راموز الحديث»، مطبوع.

ـ «نعت البدايات وتوصيف النهايات»، مطبوع.

ـ «تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض»، مطبوع.

ـ «مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع»، مطبوع.

ـ «مبصر المتشوف»، مطبوع، في التصوف.

ـ «دليل الرفاق على شمس الاتفاق»، مطبوع، ثلاثة أجزاء قديماً، وفي جزئين حديثاً، في الفقه المالكي.

ـ «مذهب المخوف على دعوات الحروف»، مطبوع.

ـ «المرافق على الموافق»، مطبوع قديماً، وهو نظم لـ «الموافقات» مع شرح له.

ـ «مفيد الحاضرة والبادية»، مطبوع.

ـ «مجموع»، مطبوع، مشتمل على رسائل منها: «قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين».

ـ «الإيضاح لبعض الاصطلاح».

ـ «ما يتعلق بمسائل التيمم».

ـ «سهل المرتقى في الحث على التقى».

ـ «فاتق الرتق على راتق الفتق»، وهو شرح قصيدة من نظمه غريبة المباني (كما وصفها في مقدمة الشرح)، منها نسخة خطية في الخزانة

العامة بالرباط (د ٣٨٤)، واسمه على هذه النسخة «محمد مصطفى الشريف الحسني الإدريسي الملقب ماء العينين».

* * *

ترجمة الشيخ
محمد محيي الدين عبد الحميد[1]

هو الشيخ العلامة المحقق محمد محيي الدين بن عبدالحميد، مدرس مصري، ولد سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م بقرب «كفر الحمام» بمحافظة الشرقية، كان محيي الدين نزاعاً للعلم مشغوفاً به منذ نشأته الأولى، إذ تربّى في بيت فقه وقضاء؛ لأن والده الشيخ عبدالحميد إبراهيم كان من رجال القضاء والفُتْيا، وله صلات قوية بزملائه، والصفوة من علماء بيئته، فكانوا يجتمعون لديه في منزله، وقد ترعرع الطفل الناشىء ليسمع آيات القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ، ومسائل العلم في نقاش الزائرين، ويلحظ لوالده من الهيبة والمكانة ما دفع به إلى محاكاته، حتى إذا بلغ دور الصِّبا دفع به والده إلى معهد دمياط الديني ليرتشف من معينه، إذ كان والده قاضياً بمحكمة فارسكور، ثم انتقل إلى القاهرة مُفتياً دينياً لوزارة الأوقاف فانتقل معه

---

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٧/ ٩٢)، و«الأزهر في ألف عام» (٣/ ١١٢)، ومجلة «الأديب» (عدد مارس/ سنة ١٩٧٣م)، و«النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» (٢/ ١٢٥ ـ ١٤٢)، ومجلة «مجمع اللغة العربية» (جزء ٢٠، ص ٩٢، سنة ١٩٦٦م، وجزء ٣٢، ص ١٨٦، سنة ١٩٧٣م).

إلى الجامع الأزهر، وحصل محمد محيي الدين على العالمية النظامية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م، وعمل في التدريس بمصر والسودان، ثم كان رئيس لجنة الفنوى بالأزهر، ثم عميداً لكلية اللغة العربية، وضمه مجمع اللغة العربية في القاهرة إلى أعضائه سنة ١٩٦٤، واشتهر بتصحيح المطبوعات (أو تحقيقها)، فأشرف على طبع عشرات منها، وكان من بينها كتابنا هذا «الموافقات»، ومدح صنيعه في ضبط الكتب وتحقيقها غير واحد من الأعلام، فها هو الأستاذ العلامة الشيخ محمد علي النجّار في حفلة استقبال الشيخ محيي الدين بمجمع اللغة العربية، حين اختير عضواً به؛ يقول:

«لقد قيل في الطبري: إنه كان كالقارىء الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدّث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكذلك يقال في الشيخ محيي الدين، إنه كالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالمتكلم الذي لا يعرف إلا الكلام، وآيةُ ذلك ما ألّفه أو أخرجه من الكتب في هذه الفنون». قال ذلك الشيخ النجّار بعد أن قال: «ولقد أتى على الأزهر حينٌ من الدهر، وجل ما يُدرَّسُ في معاهده من تأليفه أو إخراجه»[1].

وتعدّد المعارف العلميّة كان من سمات علماء الأزهر، قبل أن تُنشأ الكليّات، لأن الطالب في القسم العالي كان يدرس العلوم الرئيسية لكليّات اللغة العربية وأصول الدين والشريعة الإسلامية جميعها، فإذا

(١) مجلة «مجمع اللغة العربية» (ج ٢٠، ص ١٩٢، سنة ١٩٦٦م).

كان نابغة كالشيخ النجار أو الشيخ محيي الدين؛ فإن علوم الإسلام شريعةً ولساناً لا تعجزه، وكان الشيخ إبراهيم الجبالي والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ عبدالمجيد سليم يرأسون لجان الامتحانات في التخصّص القديم، ويسألون عن دقائق العلوم المختلفة، وكأنهم ذَوُو اختصاص في كل علم على حِدة! وقد زاد عليهم الأستاذ محيي الدين بما بذل من جهد في النشر والتأليف، على حين اكتفى هؤلاء بمجالس الدرس المستوعب لكبار الطلاّب، وليتهم صحبوا القلم كما صحبوا اللسان.

ومدحه الأستاذ المحقق الكبير عبدالسلام هارون ـ رحمه الله تعالى ـ فقال:

«ومما يخرج عن نطاق الحصر ما صنعه الأستاذ محيي الدين من العناية بنشر «شرح ابن يعيش على المفصل» في عشرة أجزاء لم يرقم عليها اسمه، ولم يدخِلها في حساب ما قام على نشره من أُمّهات الأصول، ويكفيه فخراً في النحو ويكفي النحو فخراً به أنه عالج معظم كتبه المتداولة، لتيسير دراستها وتذليل القراءة والبحث فيها بدءاً بـ«الأجرومية» وانتهاء «بشرح الأشموني للألفية»، و«شرح ابن يعيش للمفصل»، ولا يزال كثير منّا نحن أعضاء المجمع الموقر يرجع إلى كتاباته وتعليقاته، وإلى هذا المدد الزاخر، من المكتبة النحوية التي نقلها من ظلام القدم إلى نور الجدّة والشباب»[1].

وللأستاذ محمد محيي الدين مقدمات علميّة رائعة تدلّ على أنه

---

(١) مجلة «مجمع اللغة العربية» (ج ٣٢، ص ١٨٦، سنة ١٩٧٣م).

باحث جيد، لو تفرّغ للتأليف الخالص لأبدع الكثير، وأشير إلى مقدمتين رائعتين هما مقدمته لكتاب «مقالات الإسلاميين» للأشعري، ومقدمته لكتاب «تهذيب السعد»، حيث ألمّ في الأولى بتاريخ دقيق لعلم الكلام منذ بَدَت أُصولُه حتى اكتمل وتشعّب وتعدّدت فرقه بعد الأشعري، في وضوح خالص يدل على صحة الفهم، وصدق الاستنباط، كما ألمّ في المقدمة الثانية بتاريخ علم البلاغة في دقّةٍ حصيفة، وقد كتب هذا التاريخ المستوعب قبل أن تظهر الكتب المستقلة بتاريخ هذا الفن، فكان ذا سبق جليّ، وله في مقدمة «نهج البلاغة» استيعاب جيد، واستشفاف بصير.

ومع هذا، فله مؤلفات عدة، منها:

- «الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية»، مطبوع.

- «أحكام المواريث على المذاهب الأربعة»، مطبوع.

- «التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية»، مطبوع، ثلاثة أجزاء.

- «تصريف الأفعال»، طبع الأول منه.

توفي الشيخ محمد محيي الدين سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ، وأسكنه فسيح جنانه.

* * *

ترجمة محقق الكتاب
مشهور بن حسن آل سلمان

بقلم تلميذه: أبي العباس الأثري

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه. . . وبعد:

فها أنذا أُقيد معالم هذه الترجمة، واللسان (اليراع) رضابه يكاد يجف حياء؛ فإن المترجَم في ذا الأمر كان شرع ـ وهي جادة مطروقة، وسكيكة مألوفة، كما لا يُخْبَلُ على عريب من الناس ذي نُهية ـ ثم آل الأمر إليَّ بإشارة مَنْ إشارته حُكم، وطاعته غنم. ولا يُدرك الطالع شأوَ الضليع، ولا الخوَّار سبيل الشجيع، ولكنه أمر كان، والله المستعان، وعليه التّكلان.

قال أبو العباس: هو الشيخ، السلفي، المتفنن، صاحب التصانيف الماتعة الفريدة، والتواليف المليحة المفيدة، والتحقيقات العزيزة الفاردة، مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان، المَكْنِيُّ بأبي عُبيدة ـ حفظه الله أُخرى المنون، ما توالت الأيام، وتتابعت السُّنون ـ.

ولد في فلسطين سنة ثمانين وثلاث مئة وألف، ونشأ في بيت حفاظ ودين، ونجار كريم. ثم ظَعَنَ وأهَل بيته إلى الأردن ذات العُوَيم، سنة سبع وثمانين وثلاث مئة وألف ـ وهي سنة هِياطٍ ومِياطٍ ـ عَقيبَ النازلة التي حلت بأهلها. ثم عَمَنَ في (عمّان) الأردن، وكانت دراسته الثانوية فيها، وإنه

التحق بكلية الشريعة، سنة أربع مئة وألف، في قسم (الفقه وأُصوله).

رزقه الله مِقَةً للعلم الشرعي مذ كان في جِنِّ النَّشاط ورُبَّان الحداثة، وآتاه الله من كلِّ شيء سبباً، فأتْبع سبباً، فطاب مسلكاً ومشرباً، وانكبَّ على علوم الشريعة الغرَّاء، درساً، وقراءة، وتحصيلاً والتقاطاً لشتيتها وأثيثها، واصلاً الآساد بالتّأويب، ومُراوحاً بين الإهذاب والتَّقريب. فقرأ شطراً عظيماً من «المجموع» النواوي، و«المغني» لابن قُدامة، و«تفسير أبي الفداء»، و«تفسير القرطبي»، و«صحيح البخاري» بشرح الحافظ العسقلاني، و«صحيح مسلم» بشرح النواوي، وغيرها جمع عظيم، وجَمٌّ غفير، لا يأتي عليه حيسوب.

وكان الشيخ ـ لا تَبلى مودَّتُه ـ مُستَهْتَراً[1] بالكتب الشرعية كلِفاً بها. بدأ بالفتش والتَّنقير عنها قبل ظهور سِبَاله، ونبات عُثْنُونِهِ. فاجتَمَعَ له منها الشيءُ الكثيرُ، والعددُ الوفيرُ.

ثم اتَّبع سبباً، فتأثر بطائفة من فحولةِ العلماء ومحققيهم، وقفا أثرهم، وعرف أخراتَهم، ومنهم:

شيخ الإسلام، أبو العباس أحمد ابن تيمية النُّميريُّ (م سنة ٧٢٨هـ)، والشيخ ولوع به يُقدِّمُهُ.

وتلميذُهُ البارُّ، العالم الرباني وشيخ الإسلام الثاني، أبو عبد الله ابن قيم الجوزيّة (م سنة ٧٥١هـ)، والبيهقي، والنَّواويّ، والذهبي، والقرطبي، وابن حجر، وابن عبد البر، والشاطبي ـ رَحِمَ الله الجميع ـ.

وإنه استراح ـ بعدُ ـ من النظر إلى التحقيق، ومن التحقيق إلى التعليق، وإنها ـ لَعَمْري ـ الَّطريقة المُثلى، في التحصيل والطلب، ونيل القِدْح المُعلَّى، وبُلوغ الأرب.

---

(١) أي: وَلُوعاً.

تأثر بجماعة من أساتيذه تأثراً عظيماً، سواء ممن أخذ عنه على مقاعد الدِّراسة النِّظامية، أو في المجالس العلميَّة، ومنهم:

فضيلة شيخنا العلاَّمة المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني، وشيخُ أشياخنا العلاَّمة الفقيه مصطفى الزرقاء ـ زاد الله في أنفاسهما ـ.

قال أبو العباس: أما شمايله وتوسُهُ، فإن رائيه يخاله قطعة من نفسه. وإني ـ علم الله ـ ما رأيت مثله، زماتةً ورَكانة، وفطنة وزكانة، إلى حلم، وأناة، وإسجاحٍ ولين جنب، ولكنه في الحق شديد الخُنْزُوَانَةِ.

قال أبو العباس: وهو من هو في العناية بآثار الأسلاف وميراثهم، طول باع، وحُسن تفهم، وجلداً على البحث، وتحصيلاً لكتبهم، وتفانياً في خدمتها، وانخراطاً في سلكها، كيف لا، وهو جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وعُذَيقُها المُرَجَّب.

تواليفه كلُّها ترنو بعين أبيها إذا لَحَظَتْ، وتَمضي في جادَّة مستقيمة، وفجٍ رغيب، ونهج لاحب، لا عوجٌ فيها ولا أمْت، فهو أبو بجدَتها، وربُّ نجدتها.

وبعضها وُضِعَ له القَبول في الأرض، ودُرِّسَ في أصقاع شتَّى، كـ«القول المُبين في أخطاء المُصلين».

أول كتبه تصنيفاً كتاب: «الجمع بين الصلاتين في الحضر بعُذر المطر»، وله ـ الآن ـ عليه زيادات مهمات تخرج ـ قريباً إن شاء الله تعالى ـ.

وأول تصانيفه طبعاً كتاب: «المحاماة تاريخها في النُّظم، وموقف الشريعة الإسلامية منها»، قرأ جزءاً منه على شيخه العلاَّمة مصطفى الزرقاء. وهو أول كتاب مفرد في بابه، نهل منه وعبَّ كل من كتب في هذه البابة.

ثم كتب «موقف الشريعة الإسلامية من خلو الرجل أو الفروغية»، وهو كالذي قبله، حيازة لفضل السبق، وفضل فتق الرتق، فسدَّ به ثغرة، وأزال

حجر عشرة.

وله من الكتب أيضاً: «من قصص الماضين في حديث سيد المرسلين»، و«إعلام العابد في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد»[1]، و«دراسة حديث أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...» تعقب فيه تصحيح شيخه العلامة الألباني للحديث، و«المروءة وخوارمها»[2]، و«الهجر في الكتاب والسنة»، و«الغول في الحديث النبوي»، و«كتب حذر منها العلماء»، طبع منه المجموعة الأولى[3] في جَلَدين، وهو في مجموعات خمس (لكل مجموعة جَلَدان)، قدم له، وقرأهُ شيخُنا العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد.

وله أيضاً: «الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح وأثره في علم الحديث» وهو مطبوع في جلدين، ونشر منه كتاب مختصر، استله ناشره من الكتاب الأصل، فظهر ضعيفاً، لا يسدُّ خلّةً، ولا جِدَّة فيه.

وله أيضاً: «عناية النساء بالحديث النبوي»، و«معجم المصنفات الواردة في فتح الباري»[4]، و«الردود والتعقبات على الإمام النووي في الصفات وغيرها من المسائل المهمات»[5] تتبع فيه تأويلات الإمام النواوي في «شرح صحيح مسلم»، وبيَّن مذهب السلف فيها، وأنحى باللائمة على من غمط النواوي حقه، وأجرى لسانه فيه بالثلب، وأفتى بحرق كتبه ومدوّناته.

---

(١) طُبع طبعَتين، في الثانية فوائِدُ زوائد، وتجمع عنده زيادات مهمات لعلها تظهر ـ إن شاء الله ـ في طبعة ثالثة.

(٢) طُبع ثلاثَ طبعات، الثالثة تزيد على الأوْلَتين قرابة (مئة صفحة).

(٣) طُبع أكثرَ من مرة، ولاقى قَبُولاً، فللّٰه الحَمْدُ والمِنَّة.

(٤) استلَّه وجرّده من «الفتح» تلميذه الأَخ رائد صبري، وعلّق الشيخ عليه وراجعه وعرف بالكتب وطبع باسميهما.

(٥) طبع أكثر من مرة.

وله دراسة جمع فيها أسماء الرسائل التراثية الموجودة برُمتها في بطون (المجلات) أو (المجلدات) وسمها بـ «الإشارات»، تكون ـ إن شاء الله تعالى ـ في خمسة أجلاد، طبع منها الأول حَسْبُ.

وله عناية بما لا يصح من القصص، نبويّة كانت أو تاريخية، يجمعها في سلسلة تنشر متتابعة بعنوان «قصص لا تثبت»، الرابع منها قيد الإعداد.

وله عناية بالقرطبي وتراثه، فكتب عنه دراسة جادّة بعنوان «الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير» وصنع كشافاً فقهياً لـ «تفسيره»، جعله على أبواب الفقه، وعنده عزم على تخريج أحاديثه، إذ جمعها في بطاقات منذ زمن، وخرّج قسماً يسيراً منها، وحقق له «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (لم يطبع بعد)، وجمع كلامه في «التفسير» على الصوفية، وطبعه بعنوان «القرطبي والصوفية»، وطبع أيضاً «شكوى القرطبي من أهل زمانه»، وهما رسالتان صغيرتان، وله سلسلة بعنوان «تنبيهات على محذورات» طبع منها «حكم الشرع في لعب الورق»، و«أضرار كرة القدم»، كتبت لأسباب تخص مواضيعها مع بعض أقاربه ومحبيه، وهي رسائل صغيرة، وكذا له «ألفاظ كفرية» جمعها من مجالس العامة على اختلاف طبقاتهم، و«تراجعات ابن حجر العسقلاني في فتح الباري» (قيد الطبع)، وكذا له «نصيحة ذهبية إلى الجماعات الإسلامية»، ضمنها في التقديم والتعليق على فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية في الطاعة والبيعة، كتبها وأرسلها إلى المشايخ والعلماء ليبدوا رأيهم فيها، فظهرت مطبوعة دون علمه، ووقع فيها ما لا يُرْتَضى.

ويعمل الآن على جمع الأحاديث النبوية الشريفة، المبثوثة في بطون كتب التاريخ، والأدب، واللغة، والقراءات، والرقائق، وما ليس تحت يد المشتغل بصناعة الحديث، وإنه يطبعها ـ إن شاء الله تعالى ـ في جمهرة عظيمة.

وكذا بدأ بجمع الآثار المسندة لتكون ـ بعدُ ـ في معلمة كاملة شاملة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وله جهود في التحقيق عظيمة، فعمل على نشر كثير من كتب التراث مما لم تر النور إلا بجهده، فهو أول من حقق كتاب «الطّهور» لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«الطبقات» للإمام مسلم بن الحجاج، و«الخلافيات» للبيهقي (طبع منه مجلدان، والثالث والرابع والخامس قيد الإعداد)، وإنه يربو ـ إن شاء الله تعالى ـ على مجلدات عشرة، وحقق «المجالس الخمسة التي أملاها الحافظ أبو طاهر السِّلَفي بسلماس» للحافظ السِّلفي (ت٥٧٦هـ)، و«أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة» لابن قاضي شهبة (ت٧٨٩هـ)، و«أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الخطر والآفات» لابن حبيب العامري (ت٥٣٠هـ)، و«جزء فيه من عاش مئة وعشرين سنة من الصحابة» لأبي زكريا يحيى بن منده (ت٥١١هـ)، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للحافظ أبي بكر الخلال (ت٣١١هـ)، و«الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط لما روي في ذلك من أحاديث ووجه تأويلها» لأبي الوليد بن رشد (ت٥٢٠هـ)، و«الجامع للآداب» لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) (ولم يكتب اسمه عليها)، و«درة الضّرع لحديث أم زرع» لمحمد ابن عبد الكريم القزويني (ت٥٨٠هـ)، و«تالي تلخيص المتشابه» للخطيب البغدادي (وهو قيد الطبع)، و«تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (النواوي)» لابن العطار (ت٧٢٤هـ)، و«الكبائر» للإمام الذهبي، وبيَّن فيه زيف الطبعة المشهورة وأن الذهبي بريء منها، و«تشبه الخسيس بأهل الخميس» للذهبي أيضاً (ظهر في مجلة «الحكمة»)، و«ذكر ابن أبي الدنيا وما وقع عالياً من حديثه» لأبي موسى المديني، و«فنون العجائب» للنقاش، و«جزء القاضي الأُشناني»، و«فضائل الرمي في سبيل الله» للحافظ القراب (ت ٤٢٩هـ)، و«فضيلة العادلين»، و«جزء فيه طرق حديث إن لله تسعة

وتسعين اسماً»، كلاهما لأبي نعيم (ت ٤٣٠هـ)، و«الوجل والتوثق بالعمل» لابن أبي الدنيا، و«أدب النفوس» للآجري، و«مسألة سبحان» لنفطويه، و«حديث الجويباري» للبيهقي، وكلها ستظهر - إن شاء الله تعالى - في مجموعة قريباً، وقد فرغ من تنضيدها. وحقق «العزلة» لابن أبي الدنيا، وهو (قيد الطبع)، وله حواشٍ ومراجعاتٌ وتعليقاتٌ على تحقيق «الغيلانيات» لأبي بكر الشافعي (قيد الطبع)، وكذا على كتاب شيخه الألباني «المنتخب من فهرس مخطوطات الظاهرية».

وحقق مجموعة من كتب ابن القيم، مثل «الفروسية»، و«جلاء الأفهام» (قيد الطبع)، و«الطرق الحكمية» (قيد التنضيد والصف)، و«الفوائد الحديثية» لم يُطبع قبلُ، و«إعلام الموقعين»، (قيد التنضيد) و«زاد المعاد» (قيد الإعداد).

وحقق أيضاً: «جزء في طرق حديث أفرضكم زيد» لمحمد بن عبد الهادي (لم يطبع بعد)، و«تذكرة الطالب المعلَّم فيمن قيل إنه مخضرم» لسبط ابن العجمي.

وحقق أيضاً: «تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم» لولد سبط ابن العجمي، و«غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة» لرشيد الدين العطار، وهو في ذيل «الإمام مسلم ومنهجه في الصحيح»، و«من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة» لابن حيويه (ت٣٦٦هـ) (تلميذ النسائي)، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة المقدسي (شيخ النواوي)، و«مجموعة رسائل حديثية» للإمام النسائي، و«المتوارون»، و«الأوهام التي في مدخل أبي عبد الله الحاكم النيسابوري» كلاهما للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي (ت٤٠٩هـ)، و«الفوائد الزينيّة في مذهب الحنفية» لابن نجيم (ت٩٧٠هـ).

وحقق مجموعة من رسائل الأسيوطي (ت٩١١هـ)، هي: «الأمرُ

بالاتباع والنَّهيُ عن الابتداعِ»، و«تمهيد الفرش في الخصائل الموجبة لظل العرش»، و«بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال»، و«بشرى الكئيب بلقاء الحبيب»، و«التعليل والإطفا لنارِ لا تطفى»، و«كتاب في صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم» (وهو عبارة عن مقامة، ولم يكتب اسمه عليها)، و«المسارعة إلى المصارعة».

وحقق أيضاً مجموعة من رسائل السخاوي، وهي: «رجحان الكِفَّة في بيان نبذة من أهل الصُّفة»، و«الجواب الذي انضبط عن لا تكن حلواً فتسترط»، و«تخريج أحاديث العادلين»، و«الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي»، و«تحرير الجواب عن ضرب الدواب» (ظهر في مجلة «الحكمة»)، و«القول المنبي في ترجمة ابن عربي»، و«الأجوبة العلية عن الأسئلة الدمياطية»، و«المسلسلات»، و«البلدانيات» و«القول البديع»، (كلها قيد الإعداد والتحقيق).

وجمع مؤلفات السخاوي في كتاب فرد (لم يُطَبعْ).

وحقق أيضاً مجموعة من رسائل الشوْكاني (م سنة ١٢٥٠هـ) مثل: «در السحابة في فضائل الصحابة» (قيد الطبع)، و«تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل»، و«بلوغ المنى في حكم الاستمنى»، و«إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ».

وحقق أيضاً «برد الأكباد في فضل فقد الأولاد» لابن ناصر الدين (لم يطبع بعد).

وحقق مجموعة من رسائل الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مثل: «تخريج حديث الأسماء الحسنى»، و«ذكر الآثار الواردة في الأذكار التي تحرس قائلها من كيد الجن» (وطبع خطأً منسوباً لابن حجر الهيتمي! وهو قطعة من «بذل الماعون»)، و«جزء في طرق حديث لا تسبوا أصحابي».

وحقق مجموعة من رسائل الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي، مثل:

«تحقيق البرهان في شأن الدخان»، وله بذيله «التعليقات الحسان»، و«إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان»، و«تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان»، و«تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف».

وحقق أيضاً مجموعة من رسائل الشيخ علي القاري (م سنة ١٠١٤هـ)، مثل: «شم العوارض في ذم الروافض» (لم يطبع بعد)، و«أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام»، و«الذخيرة الكثيرة في رجاء المغفرة للكبيرة»، و«سلالة الرسالة في ذم الروافض من أهل الضلالة»، و«تطهير الطوية في تحسين النية»، و«المقدمة السالمة في خوف الخاتمة»، و«فصول مهمة في حصول المتمّة»، و«فرائد القلائد على أحاديث شرح العقائد»، و«الاستدعاء في الاستسقاء»، و«الأدب في رجب»، و«معرفة النساك في معرفة السواك»، و«التجريد في إعراب كلمة التوحيد»، و«رفع الجُناح وخفض الجَناح بأربعين حديثاً في النكاح»، و«شفاء السالك في إرسال مالك» (وجميعها مطبوعة)، و«الأربعين القدسية»، و«البيّنات في بيان بعض الآيات»، و«إعراب القاري على أول باب البخاري»، و«صنعة الله في صيغة صبغة الله»، و«أنوار الحجج في أسرار الحجج»، و«تزيين العبارة لتحسين الإشارة» وذيلها «التدهين للتزيين على وجه التبيين»، و«فتح السماع في شرح السماع»، و«الاعتناء بالغَنا في الغِنا»، و«رسالة ما يتعلق في ليلة النصف من شعبان» (فرغ من تحقيقها كلِّها، وهي منضدة ومُعَدَّةٌ للطبع من سنوات عديدة).

وفرغ من تحقيق «القواعد الفقهيد» (قيد التنضيد) لابن رجب الحنبلي، وهو منشغل الآن بتحقيق «المجالسة» لأبي بكر الدِّينوَري.

وحقق أيضاً مجموعة من الرسائل الصغيرة في الفقه، والآداب، واللغة، مثل: «الدُّرر الثمينة في حكم الصلاة في السفينة» للحموي (ت١٠٩٨هـ)، و«مفيدة الحسنى لدفع ظنّ الخلوّ بالسكنى» للشُّرُنبلالي

(ت١٠٦٩هـ)، و«المطالب المنيفة في الذب عن الإمام أبي حنيفة» لمصطفى الحسيني، و«آداب العشرة وذكر الصُّحبة والأُخوّة» للغزي (ت٩٨٤هـ)، و«القول المسموع في الفـرق بين الكـوع والكرسوع» للزَّبيـدي (ت١٢٠٥هـ) ـ رحم الله الجميع ـ.

قالَ أبو العَبَّاس: فمجموعُ ما طُبعَ له، حتى كتابة هذه السطور، قرابة مئة رسالة وكتاب، تحقيقاً أو تصنيفاً، وأتمَّ نحو العشرين مما لم يطبع، عدا عمَّا في جَعْبَتِهِ ومسوداته من نسخ لأجزاء ومخطوطات مهمة، أو أعمال علمية متممة وغير متممة، نسأل الله أن يعينه على إتمامها وإخراجها إلى عالم النُّور.

وبعدُ: فإني لو رُمت البسط، ويممتُ شطره، لخرجت ترجمتي المعتصرة هذه في أجلاد وأجلاد، ولكن حال الجريضُ دون القريض، وخشية الإلظاظ دون الغريض.

وليعلم النَّاظر أني كتبت ما كتب عاصياً لما يُرضيه، مطيعاً لما يرضيني، وإلاَّ فله العتبى حتَّى يرضى.

أسأل الله أن يوفق شيخنا ويعينه، وأن يُعظم له أجراً، ويُخلِّد له ذكراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

وكتب

أبو العباس الأثري

يوسف بن عطاء السليمان

ـ عفا الله عنه ـ

في ٢٨ / جمادى الآخرة / ١٤١٧هـ

* * *

الفهارس(١)

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الكتب.
- فهرس الأشعار.
- فهرس الفرق والطوائف والجماعات والمذاهب والملل.
- فهرس الجرح والتعديل.
- فهرس الفوائد العلمية.
- الموضوعات والمحتويات.

* * *

(١) أثبتُّ في فهرس الآيات والأعلام والكتب ما ورد في صلب الكتاب، وما عدا ذلك من الفهارس ما ورد في الصلب والهامش. وأشرت لما ورد في الهامش أو التعليق بحرف (ت).



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

يوسف

الرعد

الإسراء

الكهف

مريم

طـه

الحج

المؤمنون

النور

الفرقان

النمل

القصص

العنكبوت

الزمر

(١) ليست من شرطنا في هذا الفهرس ذكر الآيات التي في الشرح أو التعليق، ولكن هذه الآية انفردت بها بعض النسخ، وأشرنا إليه في الهامش، فأثبتناه، فاقتضى التنويه.

الحديد

المجادلة

الحشر

الممتحنة

الصف

الجمعة

المنافقون

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

(١) الآيات مرتبة على حسب ورودها في القرآن الكريم.

(١) منهم: جابر وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وعلي وأبو الدرداء رضي الله عنهم جميعاً.

يا بني سلمة ألا تحتسبون خطاكم	أنس	٢/٢٢٦ت
يا بني فلان إني لا أملك لكم	ـــــــ	٢/٣٨٣
يا بنيّ إن قدرت أن تصبح وتمسي	أنس	٤/١٠٨
يا بني وذاك من سنتي ومن أحيا سنتي	أنس	٤/١٠٨
يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة	جابر بن عبد الله	٥/٣٦ت
يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا	أبو هريرة	٢/١٤٢ت
يأتي على الناس زمان يستحل فيه	الأوزاعي	١/٤٤٨
يأتي على الناس زمان يُستحل فيه خمسة أشياء	ابن عباس	٣/١١٣
يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين	أبي بن كعب	٢/١٣٨
يا خالد إنها ستكون أحداث واختلاف وفتن	خالد بن عرفطة	٢/١٧٣ت
يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر	حمزة بن عمرو الأسلمي	٤/٩٩ت
يا رسول الله أصابني الجهد	أبو هريرة	٣/٦٨ت
يا رسول الله أليس قد قلت لي	عمر	١/٥٠١(ت)
يا رسول الله إنّا كنّا بشر فجاء الله بخير	حذيفة	٢/١٧٢ت
يا رسول الله إن أمي باتت وعليها	ـــــــ	٢/٣٨٧ت
يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي	ـــــــ	٣/٧١ت
يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين	عدي بن حاتم	٣/٢٩٩ت
يا رسول الله إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت	أبو هريرة	٣/٥٥٤ت
يا رسول الله أيأتي الخير بالشر	أبو سعيد الخدري	٣/١٥٣ت
يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة	عمر	٥/١٦٩
يا رسول الله حدثنا فأنزل الله عز وجل	ـــــــ	١/٥٠، ٣/٥٢٠ت
يا رسول الله ذكّرنا	ـــــــ	١/٥١(ت)
يا رسول الله رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً	ـــــــ	٥/٣٧٧
يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه	سفيان بن عبد الله	

فهرس الآثار

ابن وهب

أبو إدريس الخولاني

أبو أيوب الأنصاري

أبو بكر بن سليمان

أبو بكر بن محمد

أبو بكر الصِّديق

حبيب بن أبي ثابت

حزن بن أبي وهب

حسان بن عطية

الحسن البصري

الحسن بن عرفة

الحسن بن نصر السوسي

حصين

(١) وانظر: «الثوري».

عبد الله بن عمر

عمران بن حصين

عمر بن الخطّاب

الكلبي

الليث بن سعد

مالك بن أنس[1]

(١) انظر (مطرف بن عبد الله) فذكر أقوالاً وأحوالاً عن مالك، رحم الله الجميع.

المبهمون



فهرس الأعلام

(١) انظر (أبو المعالي).



فهرس الكتب

(١) اسمه «إكمال المعلم بفوائد مسلم»: كمّل به القاضي عياض كتابَي «المعلم» للمازري، و«تقييد المُهْمَل» للجيّاني، فأدخل جميع كلام المازري ـ عدا تراجم الأبواب ـ وجزء العلل الواقعة في أسانيد كتاب مسلم من «تقييد المهمل» للجيّاني، وشرح ما لم يتعرّضا له، وأسهب في ضبط الألفاظ، وبيان المعاني، واستنباط الأحكام الفقهية والفوائد المختلفة مع استدراك وتعقيب وتصحيح ـ عند الحاجة ـ للمازري والجياني، وانظر: «منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم» للدكتور حسين شواط، نشر دار ابن عفان.

(١) لم أفز بتحديد اسم الكتاب، مع مروري على كتب الغزالي التي في مكتبتي باحثاً فيها عن النص الذي نقل منه هنا، ولكن... على وجه السرعة!!

(١) لم أظفر بالنقل الذي أورده الشاطبي فيه، فلعله لغيره!! ولم يذكر المصنف اسم مؤلِّفه.

(٢) من «إحياء علوم الدين».

(١) انظر عنه: «دراسات في مصادر الفقه المالكي» (ص ١٧٧).

(٢) وهو «فضائح الباطنية».

(٣) هو والذي يليه واحد.

(٤) هو ابن قُتيبة.

فهرس الأشعار

البيت	القافية	الشاعر	الجزء والصفحة
كسر الجرَّة عمداً	شراباً	ـــــــ	٢٦٣/٤(ت)
قلت لما غاب عقلي	تراباً	ـــــــ	٢٦٣/٤(ت)
بلاد بها نيطت عليَّ	ترابها	أبو تمام	٢٢/٥(ت)
أحب بلاد الله ما بين	سحابها	أبو تمام	٢٢/٥(ت)
دع عنك لومي فإن اللوم	الداء	أبو نواس	٢٨٩/٣(ت)
وللعقول قوى تستن	اضطرابات	ـــــــ	١٣٤/٢
بالخير خيرات وإن شراً	أنْ تا	لقيم بن أوس	٢٣٧/٤
وأنت زنيم نيط في آل هاشم	الفرد	حسان بن ثابت	٢١/٥
يجود بالنفس إذا ضن	الجود	مسلم بن الوليد	٧٠/٣
وظاهر لها من يابس	ستراً	ذو الرُّمَّة	١٣٣/٢-٢١٥/٥
وهنَّ يمشين بنا هميساً	لميسا	ابن عباس	٩٤/٤
وموضع زين لا أريد	آنسُ	ابن الأعرابي	١٣٤/٢
هيهات لا تتكلفن في الهوى	المطبوع	الشريف الرضي	١٣٢/٤
ناداهم ألا الحموا ألا تا	ألافا	الوليد بن عقبة	٢٣٧/٤
قلت لها: قفي، فقالت	الإيجاف	الوليد بن عقبة	٢٣٦/٤
أهابك أن أُبدي إليك	طرفي	أبو حمزة الخراساني	٤٩٧/٢(ت)
نهاني حيائي منك أن	الكشف	أبو حمزة الخراساني	٤٩٧/٢(ت)
تلطفتُ في أمري فأبديت	باللطف	أبو حمزة الخراساني	٤٩٧/٢(ت)

(١) وعزي لغيره، كما بيّناه في موطنه.

فهرس الفرق والطوائف والجماعات والمذاهب والملل

فهرس الجرح والتعديل

المبهمون

* * *

فهرس الفوائد العلمية

مرتبة على المواضيع التالية:

- التوحيد.
- النبوة والأنبياء.
- علوم القرآن.
- التفسير.
- أصول الفقه.
- المقاصد والنيات.
- القواعد الفقهية.
- الفقه مرتباً على الأبواب.
- الآداب.
- البر والصلة والرقائق والزهد.
- الاعتصام بالكتاب والسنة.
- الفضائل.
- الحديث ومصطلحه.
- السيرة والتاريخ.
- الابتلاء والفتن وأشراط الساعة.
- العلم والعلماء.
- اللغة العربية.
- الكتب .

التوحيد

---

(١) طبعة دار ابن عفان.

* * *

النبوة والأنبياء

* * *

علوم القرآن

* * *

علم التفسير

* * *

أصول الفقه

ـ الإجماع

ـ النسخ:

ـ التكليف:

ـ المكروه:

* * *

المقاصد والنيات

* * *

القواعد الفقهية وغيرها

* * *

مسائل الفقه مرتبة على الأبواب

ـ العبادات:

ـ صفة الصلاة:

ـ الصوم:

ـ من يرخص لهم في الفطر وأحكام القضاء:

ـ **البيوع:**

ـ العقود في البيوع:

ـ النكاح:

ـ النفقة:

ـ الشهادات:

ـ القضاء:

ـ الولاية والإمارة والسياسة الشرعية والخراج:

ـ الجهاد:

* * *

الآداب

* * *

البر والصلة والرقائق والزهد

* * *

الاعتصام بالكتاب والسنة

* * *

الفضائل

* * *

الحديث ومصطلحه

* * *

السيرة والتاريخ

* * *

الابتلاء والفتن وأشراط الساعة

* * *

العلم والعلماء

* * *

اللغة العربية

ـ الألفاظ التي ضبطت بالحرف أو فُسِّرَت مرتبة على الحروف:

* * *

الكتب

* * *

الموضوعات والمحتويات

* * *